



75 - 960956

موسى وفرعون

بين
الأسطورية والتاريخية

تأليف

عصا الزمر حنفى زهير

مقدمة

بقلم د. حسن ظاظا

محاضرة الدكتور محمد بن عبد الوهاب

موسى وفرعون بين الأسطورية والتاريخية

مقدمة

بقلم د. حسن طنطا

أستاذ الدراسات العبرية بكلية الآداب
جامعة الإسكندرية



د. اب. العالم الجديد - القاهرة

BS
1225.5
N37

مقدمة

بقلم : الدكتور حسن ظاظا

أستاذ الدراسات العبرية

بكلية الآداب - جامعة الاسكندرية

حقوق الطبع والنشر محفوظة

٣٢ ش قصر النيل

دور ٦ شقه ١

ت ٥١٣٩٠ - ٨٠٧١٥٢

(الطبعة الأولى يونيه ١٩٧٥)

لم ينفصل التاريخ عن الاسطورة إلا في عصور متأخرة جداً من حياة البشر على هذه الأرض . وكان انفصاله رحلة طويلة شاقة عبر الحضارات . ولا نستطيع أن نقول اليوم أن التاريخ - كل التاريخ - قد انفصل تماماً عن الاسطورة بل أنه في بعض مواقع التي انفصل فيها عن الاسطورة لم يستطع أن يتحد اتحاداً كاملاً بالحقبة . ومازلنا حتى الآن نصطدم في سير المعاصرين ، على الرغم من الوثائق ، والصحف المكتوبة ، وشهود العيان ، بخلافات صاخبة ، وظلمات من الغموض دامسة ، لأن التاريخ الذي أكسبته حضارتنا المادية استقلالاً عن الاسطورة ، لم تستطع أن تمكسبه مناعة ضد الأكاذيب . فلا نابليون ، ولا الخديو اسماعيل ، ولا هتلر ، ولا جمال عبد الناصر قد ارتقوا في عصر التدوين والتسجيل ، وبوسائل التحقيق والتحصيل ، إلى مستوى السيرة الحقيقية مائة في المائة ، المحصنة ضد الريب والشكوك ، الظافرة باجماع أهل الحق من المعاصرين .

وعندما كان التاريخ هو الاسطورة ، في طفولة الشعوب وأميته ،

كانت تسرقهما معا وجدانات جماهيريه أو عشائرية تتلسن تعليلا مقبولا لكونها متبشقة من مجموعة من البشر لها كيانها المنفصل عن كيان الناس جميعاً ، ويحرص عقلمها الجماعى على إثباتات أصل تنتمى إليه ، ونسب تشرف به ، وأحداث يتجاوب خلالها طنين البطولة وقعقة الامتياز . ثم ترتفع بعض تلك السير البطولية الموغلة في القدم من الأرض إلى السماء ، لتكارس بقية رحلتها الخيالية في ملك الآلهة . وتصبح بذلك مقدسة ، وتعود بطولاتها من السماء إلى الأرض وقد اكتسب ثوبا ساحرا من الفينيقيات ، وأصبحت ديننا وإيماننا .

وسيدنا موسى عليه السلام من تلسم الوجوه الوضاعة التي تألفت أنوارها الروحية في شريعة أساسها الشورى على العبودية ، والوقوف في وجه الطفيان ممثلا في شخصية كانت في زمانها تعتبر سليلة الآلهة ، وقوة السماء على الأرض ، شخصية فرعون ، ملك الملوك ، صاحب التاج والصولجان ، المتعمر في المطلق في البلاد والعباد . وتألفت أنوار هادية تخطف الأبصار ، انبثقت من جبين هذا الرسول ومن كلتا يديه .

ومضى على موسى زمان ، خرج فيه من التاريخ الواقعى إلى الاسطورة الدينية والقومية لآناس احتكروه هو وشريعته ، وجعلوه هو وربهم ملكا خاصا بهم .

ومن هنا تبدأ « عمدة موسى » . ومن هنا تقوم حول شخصيته أسئلة كثيرة لكل منها أكثر من جواب ، وبعضها لا جواب له على الإطلاق .

فأولئك الناس الذين يقولون أنهم آمنوا بموسى ، وأنهم أطاعوه هو وربهم ، وأنهم خرجوا معه لا يلوون على شيء ، سرعان ما ثاروا عليه وعلى ربه وهم يهيمون في الصحراء ، وتكرر منهم العنف والتمرد مراراً ، بل جاهدوا بالردة والكفر وهو ما يزال حيا بينهم هو وأخوه هارون . ثم ينتهى أمر الرجلين العظيمين فلا نعرف لهما قبرا حتى الآن . وتنص التوراة المنسوبة إلى موسى — على الرغم من أن عزرا قد سجلها بالكتابة بعده بألف سنة — على أن بطل القصة كلها ، هذا الرسول العظيم ، قد مات ودفن حيث لا يعلم أحد .

ماذا يستطيع التاريخ أن يفعل أمام عقدة مثل هذه . فتلك المجموعة من البشر التي تسمى نفسها لإسرائيل ، تعرف قبر إبراهيم واسحق ويعقوب وسارة ورفقة وراحيل ويوسف ، وهم جميعاً أقدم من موسى ، ودورهم في الرواية أقل أهمية ، ومع ذلك فإنه يبدو أنهم أضاعوا كل شيء من موسى إلا الاسطورة .

فأين إذن موسى . هل فتكوا به في حركة من حركات تمردهم ، ومزقوا جسده شرمزق ، وألقوها لوحوش البرية ؟

أكان موسى ساميا ، أم مصريا ؟

أكان هناك موسى واحد أم سلسلة من الشخصيات تلتفت هذا الاسم ، واغضبته لنفسها ما يدور حوله من بطولات ، ثم زادت عليها ؟

(و)

وهذه الشريعة الموسوية ، لمن هي ؟ وكيف كانت في بدايتها ؟
وكيف انتهى بها المطاف ؟

وتزدحم علامات الاستفهام كما قلنا مستنجدة بكل وسائل التنقيب
والتدقيق . بالآثار ، وبالتاريخ ، وبالفلوكلور ، وبعلم مقارنه الشرائع
والاديان ، وبالعقل والمنطق ، ويظل موسى مع ذلك غامضا لأن
التاريخ والاسطورة تتنازعا عنه ولا يريد أحدهما أن يتنازل للآخر منه
عن قلامة ظفر . وتكثر الأبحاث والكتب والدراسات الخاصة به في
كل اللغات ومن شق الاتجاهات .

وهذا الكتاب الذى بين يدى القارئ اليوم واحد من أشد هذه
الكتب إخلاصا للبحث عن الحقيقة . وهو — مع كونه من أكثرها
جرأة — يتسم بالانزان المضى الصارم الذى لا يريد أن يسأل سؤالا
إلا إذا كان هذا السؤال خلية حية نشيطة تتحرك بقوة في كل القلوب
والعقول . وهو لا يدلى بإجابة إلا من خلال نص ، أو من أخذود
ضيق وعر بين هضاب ووهاد من النصوص .

والمؤلف ، الأستاذ عصام الدين حنفى ناصف ، قد نمته أعراق
أخلصت للبحث العلمى ، فأخذت مكانها في تاريخ الفكر الحديث لمصر
والامة العربية جمعا . فهو ابن حنفى ناصف ، العلامة اللغوى والاديب
والمشرع والمصلح الفكرى والثقافى ، الرجل الذى أنشأ مجمعا للغة
العربية نابتا من غيرة الامة على لسانها ، ومن حرصها على ألا ينعقد
هذا اللسان أمام طوفان المخترعات والمبتكرات في حضارة القرن

(ز)

العشرين ، قبل أن يقوم المجمع اللغوى الرسمى في مصر بهذه الرسالة .
وهو الرجل الذى أسهم بمؤلفاته في تعليم صحيح لهذه اللغة لعل أحدا
لم يتجاوزه حتى الآن . وهو الرجل الذى رفع لواء الرقة المصرية —
شعرا وزجلا — إلى أعلى المستويات ، حتى غدا من أعلام النكتة
اللاذعة وخفة الظل التى عرفنا بها بين العرب جميعا . عرفته مصر كما
يقول شاعر النيل حافظ إبراهيم :

مفتشا وفقهيا وقاضيا وابن فن

ولمى هذا البيت الكريم تنمى الادبية الكبيرة ملك حنفى ناصف ،
باحثة البادية ، السيدة التى أثبتت ببحوثها وآثارها الادبية أن حرية
المرأة في مصر لا تنحصر في الدب بالكعوب العالية على أرصفه
الشوارع ، ولا ارتياد المجتمعات الصاخبة لعرض آخر صيحة في
الازياء .

وشقيقه المرحوم محمد الدين حنفى ناصف كان من أولئك المترجمين
الامناء الذين تمثلوا الفكر الاوروبى دون أن يلفظوا عروبتهم أو
اسلامهم ، فخدم بذلك الثقافة المعاصرة أجل الخدمات ، كما خدم الجامعة
بعمله الطويل في إدارتها خدمة نسال الله له عنها أجمل الجزاء .

والاستاذ عصام الدين حنفى ناصف إنما هو استمرار للضمير
العلمى النزيه الذى كان وما يزال تقليدا في هذا البيت العريق .

وسيحكم القارئ من خلال هذه الفصول القيمة التى كتبها عن
موسى وفرعون ، بين الاسطورية والتاريخية ، .

فاذا كان قد لمس الحقيقة في بعض جوانب بحثه بينان اليقين ، فانه في الجوانب الأخرى قد وضعنا على طريقها ، لعلنا نواصل المسيرة على بعض أشعة من أنوار تلك الحقيقة .

د . حسن ظاظا

١ توراة موسى

ليست التوراة التي بين أيدينا إلا كتاباً للدعاة الصهيونية حبره أحبار اليهود لحث قومهم على اغتصاب فلسطين من أيدي أصحابها العرب ، وقد صور الأحبار لهم هذا الأمر على أنه فرض عليهم مقدس ، إن أدوه جزاهم ربهم خيراً في دنياهم وإن تقاعسوا عن تأديته ضرب عليهم في هذه الحياة الذلة والمسكنة .

وفي هذه التوراة ما يدحض مزاعم القائلين بأنها كتاب منزل أوحى به إلى موسى ويقطع بأنها وضعت بعد موسى بقرون ، فهو يتحدث فيها بصيغة الماضي في أمور وقعت بعد مواراته في ترى رمسه بزمن مديد وفي أشياء ليس من الطبيعي أن يعمل فيها فكره وهو تائه في صحراء سيناء . وأدل من كل أولئك على أن التوراة قد وضعت بعد موسى أن فيها وصفاً لجنازته لا يتأتى أن يكون هو كاتبه أو الموحى إليه به (١) .

(١) وقد فصلنا ذلك في باب « شواهد التزوير » في كتابنا « محنة التوراة على أيدي اليهود » المطبوع سنة ١٩٦٥ بمطبعة الرسالة وتوزعه مكتبة الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر — القاهرة .

وهيات لهم أوهاهم أنهم أبادوا العالقة عن بكرة أبيهم ، فقد
أمر النبي صمويل مليكة شاول قائلاً :

« فالآن أذهب وأضرب عماليق وحرمو^(١) كل ماله ولا تعف
عنهم . بل اقتلوا رجلاً وامرأة طفلاً ورضيعاً بقراً وغنماً جملاً
وحماراً^(٢) .

١ صمويل ١٥ : ٣

وأثلج صدور اليهود مازعه أجبارهم من أنهم وضعوا السيف في
رقاب خصومهم بفارس وكان ذلك في تضاعيف قصة أسندوا بطولتها
إلى فتاة يهودية لعوب يقال لها إستير^(٢) استطاعت أن تقرى الملك

(١) يستعمل « العهد القديم » كلمة « التحريم » بمعنى التقتيل دون تمييز والإبادة
التامة والتحريق والتدمير الشاملين .

(٢) ومع ذلك كان العالقة بعدما أيدوا بسنين ما فتشوا أحياء أقوياء ، فنزوا
جلدة صقلع وحرقوها وسبوا نساءها ومن بينهن ثنتان من زوجات داود ، وهو
يومئذ أفاق طالع طريق وحليف للفلسطينيين على موطنيه الإسرائيليين .

(٣) تسامع الإسرائيليون بهذه القصة من البابليين أيام السبي (٥٨٦ — ٥٣٨
ق . م) فاقبسوها وصاغوها في شكل عبري وجعلوا لها مضموناً منافياً لمكارم
الأخلاق ، ولهذا صمت النبيان الإسرائيليان عزراً ونحياً عن الإشارة إليها وإلى
سفر إستير كله وهو سفر يتميز بأنه لم يذكر فيه اسم الله .

ولبست قصة إستير شيئاً غير قصة خيالية ، ذلك أن المؤرخ الإغريقي هيرودت
كان معاصراً لإكزرسيس (٥٨٦ — ٤٦٥ ق . م) — وهم يسمونه في القصة
أحشويروش — ودون سيرته مفصلة ، وذكر فيها أن اسم الملكة هو أستريس
لاوشى . أما إستير التي تزعم القصة أنها حلت محل وشى زوجة للملك فلم يرد لها
ذكر في تلك السيرة ، ومن الواضح أنها لم يكن لها مقام في حياة الملك إلا أن تكون =

بين الاسطورية والتاريخية

لم يكن أسلاف اليهود ثلاثين قرناً ونصف خلت غير ألفاف من
الرعاة ينتجعون السكلا في الفيا في المترامية على مشارف بابل ويتخذون
منها منطلقاً ينتزون^(١) منه بين الفينة والفينة على البلاد المجاورة ذات
الخصب والثراء فيظفرون طوراً بالغنيمة ويؤدون تارة بالهزيمة .

وقد طالما كشف عبريو العهد القديم عن الحسد الذي ينتزى في
صدورهم ويتلظى بين جوانحهم نحو الشعوب المتاخمة التي تنعم دونهم
بالظلال الوارفة والخيرات الوفرة ، وأعربوا عن ظمئهم إلى الولوغ
في دماء الأمم الآمنة التي أباحت لهم أن يعيشوا في كنفها . وبارك
« العهد القديم » مجازر أولئك السفاحين في القبائل التي تكتنهم ووصفها
بأنها : فريضة الشريعة التي أمر بها الرب موسى .

ولاذ كان أولئك القوم لا ترق همهم في غالب الأحيان إلى تحقيق
أمانهم في واقع الحال فقد اجتزوا بأن يحققوها في منفسح الخيال ،
وما أيسر ما أفشى كسبة التوراة وسائر أسفار العهد القديم ، صنوف
القتل في بلاد أعدائهم ، فبدوا بمصر وتوا بابل ثم انفتوا إلى آرام
(الشام) ثم شدوا على فلسطين وهي بلاد كانت تنعم بوفرة الغلات
وجودة المصنوعات وبأنها في وضع وسيط بين أوربا وآسيا ،
فازدهرت تجارتها ومضت قواقلها وسفنها تجوب البر والبحر .

(١) انتزى على الشيء : ونب عليه ، يقال انتزى على أرض فأخذها .

أكزر سيس بوزير له أسموه هامان كان معروفاً بمناوآته لليهود ، فأمر به الملك أن يصلب وأبطل ما كان قد أصدر من أوامر باضطهاد اليهود ، وما عثم اليهود المفعمون حقداً أن انطلقوا يوقعون بأعدائهم وأسرفوا في القتل .

• وقتلوا من مبغضهم خمسة وسبعين ألفاً .

إستير ٩ : ١٦

ويرى غير قليل من العلماء النسابين أن قصة موسى والضربات التي أهوى بها إلى مصر وجيشها لاتعدو أن تكون لإحدى تلك القصص التي تخرقها كتاب الأسفار اليهودية المقدسة ومضوا فيها ينكون بخصوصهم في الخيال بعد ما عر عليهم التشكيل بهم بالعمال .

= سرية من السرارى ، وهو ما يخدم كبرياء اليهودية .

ويلاحظ في أسماء شخوص القصة أن اسم :

١ — إستير : محرف عن عشثار وهى إلهة سامية قديمة للمجبة والزواج والإخصاب .

٢ — مردخاى (ابن عم إستير ورائدها فى الإغراء والتماجن) : محرف عن مردك كبير آلهة الكلدان

٣ — هامان : اسم لإله عيلامى قديم .

أجل ، هى قصة خيالية لاغير ، تزين لفتيات اليهود أن يحتدين مثال البطلة إستير ، فإذا ما حزب الأمر مثلن بين يدى حكام البلاد التي يعشن بها وأبدن لاغرائهم مفاتهن واستخدمن لارضاءهم أنوثتهن . وهذا ما فعلته بعد ٢٤ قرناً مدام لوبسكو حظية كارول ملك رومانيا قبيل الحرب العالمية الثانية ، إذ جذبت له أن يبدل سياسته تجاه النازيين فأقلب عليهم وخسر بذلك عرشه . وقد سبقت إلى مثل ذلك غايات اليهود إبان الحرب العالمية الأولى فى الشام ، والوالى عليها من قبل الدولة العثمانية يومئذ السفاح جمال باشا ، الذى فتك بزعماء العرب المنادين بالاستقلال الذاتى ، فكان يحو اليهود جزاياً لإقتصادية كبيرة مقابل تقديمهم له فتياتهم الجميلات .

لقد اصطلح علماء التاريخ العبرى على أن ذلك التاريخ يبدأ منذ أنشأ اليهود مملكة لهم تبوأ عرشها شاول (طالوت) نحو سنة ١٠٢٥ ق.م وتلاه عليه سنة ١٠١٠ ق.م خصمه اللدود داود ، وقد أجمعوا على أن ما يروى من أحداث جرت قبل ذلك هى أمور لايمى علم التاريخ منها شيئاً ، وعلى أن قصص البطارقة الذين عاشوا بين أظهر العبريين قبل عهد الملوكية — وفى جملتها قصص نوح وإبراهيم ولوط وإسحق ويعقوب ويوسف وموسى — ليست فى نظرهم إلا أضغاثاً (١) من أساطير الأولين .

(١) الصفح : كل ما جمع وقبض عليه بجمع الكف ونحوه ، ويقال أنانا بأضغاث من أخبار : بصروب مختلطة منها يغلب ألا يكون لها حقيقة .

وفضلهم على سائر العالمين واتخذهم شعباً مختاراً له وأورثهم إمبراطورية
عريضة تترامى أصقاعها فيما بين النيل والفرات .

وقد أفاض سفر الخروج في تبيان كيفية خروج الإسرائيليين من
مصر بقيادة موسى ، وقدم سفر التكوين لذلك الخروج بقصة يحكي
فيها كيف كان دخول الإسرائيليين إلى مصر بادية بدء ، تلك قصة
يوسف إذ حسده لإخوته لما آثره أبوه من عطف وحنّة ، فبيتوا النية على
التخلص منه ، وأوشكوا أن يودوا بحياته ثم عدلوا عن ذلك حتى لا ينتهكوا
تابر القتل ، وباعوه لقافلة ميممة مصر حيث اشتراه ضابط مصري له
زوجة حسناء جعلت تراود يوسف عن نفسه وهو يتأثم ويتأني فأحنقها
ذلك عليه فرمته بدائها وانسلت فرج به في السجن فكث فيه ١٣ عاماً .
وعلم فرعون^(١) بمقدرة يوسف على تأويل الأحلام فاستحضره إليه
واستوزره ، فأرسل يوسف يستدعى إليه أباه إسرائيل وإخوته
بني إسرائيل فلبوا الدعوة وشخصوا إلى مصر هم ومن يلوذ بهم وكانت
عدتهم ٧٠ .

جميع نفوس بيت يعقوب التي جاءت إلى مصر سبعون^(٢) .

تكوين ٤٦ : ٢٧

وأكرمت مصر وفادتهم وأقطعهم فرعون أرض جاسان^(٣) .

(١) لقب ملك مصر في التاريخ القديم وأصله بالمصرية (برعو) يعني زنون
ومعناه : الرجل الذي يعيش في البيت العظيم .

(٢) وفي رواية أخرى أنهم كانوا ٧٥ نفساً .

« فأرسل يوسف واستدعى أباه يعقوب وجميع عشيرته خمسة وسبعين نفساً » .

أعمال الرسل ٧ : ١٤

(٣) وهي تقع شمالي بليس كما هو واضح في مصور محمد رفعت .

استعباد المصريين لبني إسرائيل

أجل ، ليست قصص أنبياء التوراة والعهد القديم إلا لبنات في بناء
واحد هو هيكل الصهيونية .

تزعم هذه القصص فيما تزعم أن الإله يهوه ضاق صدره بالذين
انكروا على نوح تنبؤه ، فأغرق الكوكب الأرضي كله من أقصاه
إلى أقصاه وأباد في غير رحمة من كان يعمره من بني آدم جميعاً ،
لم يستثن منهم غير نوح وثلاثة بنية وزوجاتهم ، بيد أن نوحاً ما إن صعد
إلى البر حتى وغر صدره لسبب تافه على ابنه الصغير حام أبي كنعان .
« فقال ملعون كنعان . عبد العبيد يكون لإخوته . وقال مبارك
الرب إله سام . وليكن كنعان عبداً لهم » .

تكوين ٦ : ١٥ - ٢٦

وبذلك صب زعاف لعنته على السكنايين أصحاب فلسطين وعلى
المصريين والسودانيين الخ الخ ، وبارك ساماً أبا العبرانيين . واجتبي
يهوه من سلالة سام إبراهيم فاتخذة خليلاً ، ثم قفى على ذلك بأن أبدل
اسم يعقوب من اسم إسرائيل^(١) . وأعلن أنه قد اصطفى بني إسرائيل

(١) فقد لقي يعقوب يوم ربه سائراً في الطريق فصارعه وكان كفؤاً له حتى
لأنه أوشك أن يظهر عليه لولا أن يهوه انتهك قواعد المصارعة وضرب يعقوب على
حق فخذه . ولانتهى الأمر بأن رسم يهوه ليعقوب بأن يغير اسمه فيجعله « إسرائيل »
تذكراً بأنه رأى الله ووجهاً لوجه وثبت في مواجهته .

« فقال لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله

تكوين ٣٢ : ٢٨

وطاب لهم المقام بها إذ استمتعوا بمرعى خصيب لم يعرفوا له نظيراً في الفلاة الجذباء التي نبتوا فيها ، ونعموا بالأمن ولم يكن لهم به عهد وسط عشيرتهم التي تقتصص أسباب المعاش من غنائم قطع الطريق على عابري السبيل والإغارة على العشائر المخيمة في البلاد المتاخمة ، وظفروا بالعمل الهين الذي يوفر لهم كثيراً من أوقات الفراغ وباءوا بالأجر المجزى الذي يسنى لهم اقتناء النعم .

أطعمهم المصريون من جوع وآمنوهم من خوف فتناسلوا وتكاثروا فلم يمض على مقدمهم ٢٠٠ سنة ونيف حتى ازداد عدديدهم من ٧٠ نفساً إلى ٣٠٠٠٠٠ رءساً مثل عددهم من الماشية ، وكان بينهم عندما فصلوا عن مصر .

و نحو ست مئة ألف ماش (١) من الرجال عدا الأولاد . وصعد معهم ليف كثير أيضاً . مع غنم وبقر . مواشى وافرة جداً .

خروج ١٢ : ٣٧ - ٣٨

وأجرى بعد ذلك إحصاء لليهود الشرذ في سيناء (٢) فأسفر عن أن عدد الأبقار الذكور ٢٢٢٧٣ .

(١) وفي ترجمة أخرى عددة أنهم كانوا ٦٠٠٠٠٠ مقاتل .

(٢) ولم يصابوا - مع ذلك - بما أصيب به قوم داود من الأوبئة الفتاك عندما أمر موسى بإحصائهم .

« فحبل الرب وبأ في إسرائيل من الصباح إلى الميعادات من الشعب من دان إلى بئر سبع سبعون ألف رجل » .

ذلك أن موسى لم يكن قد فرض على قومه الضريبة التي يؤدونها للكهنة أبناء أخيه هرون تكفيراً عن إحصاء الحكومة لهم ، بزعم أن الإحصاء عهد السبيل الجسد وهو ما تنهى عنه الوصية المباشرة .

« فكان جميع الأبقار الذكور بعدد الأسماء من ابن شهر فصاعداً المعدودين منهم اثنين وعشرين ألفاً ومئتين وثلاثة وسبعون » .

عدد ٣ : ٤٣

فإذا ضاعفنا هذا الرقم كان عدد الأبقار من الجنسين نحو ٤٥٠٠٠ . فإذا قسمنا عدد اليهود النازحين عن مصر على عدد الأبقار من الجنسين ألفيناً أن معدل ما كانت تلده المرأة الإسرائيلية يتجاوز ٦٥ ولیداً . وبهذا التخصاب الذي بذت فيه نساء اليهود إناث الأران لم يلبث إلاسرائيليون الدخلاء أن أرمي (١) عددهم على عدد أهل البلاد بالأصلاء ، ومن ثم وصفهم المصريون بأنهم .

« شعب أكثر وأعظم منا » .

خروج ١ : ٩

ثم إنهم لتباين خصائص الشعبين وانفاسح الشقة بين حضارة هؤلاء وبداءة أولئك ، لم يندمجوا في المصريين ولم يصيروا إليهم ، وكذلك لم ينزعوا عن عاداتهم البدائية أو يتخلوا عن تقاليدهم الهمجية بل جعلوا يعيشون مجتمعين بعضهم إلى بعض كأنهم دولة داخل الدولة ، وتوثقت لهم صلات بأعداء مصر المرابطين على قلوبها ، وكانوا يتنكرون للبلاد إذا ألت بها ضائقة أو دهمتها غارة .

« فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا » .

خروج ١ : ١٠

يضاف إلى ذلك أنهم كانوا يضمون بينهم أنبياء من المدنسين

(١) أرمي الشيء : زاد وكثر ، ويقال أرمي على الخبث من عمره .

بالبرص (١) ، فبعث ذلك على تقبض (٢) المصريين عنهم وشحذ رغبتهم في التخلص منهم .

ودار الزمن دورته .

ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف .

خروج ١ : ٨

وقد أغفلت القصة اسم الملك الذي لم يكن يعرف يوسف كما أغفلت اسم الملك الذي كان يعرفه (٢) ، ولو أنها ذكرت أسميهما لكان ذلك أدعى على تصديق القصة التي لم ينه شيء منها إلى علم التاريخ (٤) .

(١) كتب ديودور الصقلي يقول :

أصبحت مصر في الزمن العابر ذات مرة بوباء وخيم عزی إلى غضب الله لكثرة الأجانب في مصر ممن يصدفون عن أداء مناسك الوطنيين الدينية ، ومن ثم طردهم المصريون .

(٢) تقبض عن الشيء : اشتباذ منه .

(٣) وكذلك أغفلت التوراة اسم الملك الذي حج إبراهيم إليه بحثفا امرأته الجميلة سارة .

« فأخذت المرأة إلى بيت فرعون فصنع إلى أبرام خيراً بسببها . وصار له غنم وحمير وعبيد ولما وأنى وجمال » .

تكوين ١٢ : ١٥ - ١٦

(٤) وقد طابق بعض المؤمنين بين قصص التوراة وأحداث التاريخ من حيث الأزمنة التي وقعت فيها هذه وتلك فخرجوا من ذلك بأن العهد الذي وفد فيه إسرائيل وبنوه إلى مصر وحظوا بإكرام الدولة لهم هو عهد احتلال الملوك الرعاة (الهكسوس) للبلاد ، وأن فرعون مصر الذي عهد إلى الأسرائيليين في ضرب اللبن وتشيد المباني وما إلى ذلك هو رمسيس الثاني (١٢٩٢ - ١٢٢٥ ق م) . أما خروج هؤلاء الدخلاء من مصر فكان في عهد آمنتخت الثاني . ويستلطف العلامة بترى من التوراة أن خروجهم كان قرابة سنة ١٢٢٤ ق م .

وقد أغفلت القصة أيضاً بيان الأعباء الثقالة التي كان ينوء بها المصريون وحدثتنا بخلاف ذلك عن أوقات الفراغ التي كانوا يسترخون فيها .

ويستبين لمن يقرأ قصة التوراة أن فرعون موسى كان رجلاً حليماً كريماً عفا عن المصريين فأبقى عليهم مع إدراكه جسامته خطرهم على البلاد .

دخل إليه موسى وهرون يتهددان ويتوعدان لم يحاول موسى وهو « ثقيل الفم واللسان » .

خروج ٤ : ١٠

أن يقنعه بعدالة ما يلتسمه باسم العبرانيين ، ولم يحتج أخوه الفصيح هرون بأية حجة تؤيد حقهم في الإنصاف ، لم يشد أحدهما بالحرية ولم يدل بما يكشف عما في نظام الرق من زراية وهوان ، بل جعلاً يتوهان بالآله يهوه ويتحدثان عن مطالبه .

« فالآن مضي ثلاثة أيام في البرية ونذبح للرب هنا » .

خروج ٣ : ١٨

ولم يكن يهوه أكثر من إله من آلهة القبائل البدائية لا يشذ عن سائرهم في المطالبة بالذبائح والاضحيات والإنذار بما يقضي إليه التفصيل في تقريب القرايين من العواقب الوخيمة كما كفهرار الجؤ وكدو (١) الأرض وأوف الزرع . لأنه مجرد إله قبيلة همجية لم يسمع به فرعون من قبل .

(١) كدت الأرض : أبطأ نباتها ، كدى الزرع : ساءت نبتته .

وكان من البدهى أن يرد فرعون طلب موسى فلا يسلم إلى هذا
علا جنى الدخيل مقاد الملايين من رعاياه ليدعه يسرب^(١) بهم في طريق
غير مأمون ويفرض عليهم سلاطانه ويسلط عليهم كهنته ويهرب معهم
جانبا كبيرا من ثروة البلاد .

وبعد ذلك دخل موسى وهرون وقالوا لفرعون هكذا يقول الرب
إله إسرائيل أطلق شعبي ليعبدوا لي في البرية فقال فرعون من هو الرب
حتى أسمع قوله فأطلق إسرائيل . لا أعرف الرب وإسرائيل لا أطلقه ،
خروج ١٠ : ٢ -

لقد كان من أيسر الأمور أن يطيح رأس هذا الإسرائيلي كما أطاح
هيرودس رأس يوحنا المعمدان أو أن يزهق أنفاسه كما فعل بيلاطس
وقيافا بيسوع الذي يدعى المسيح ، ولكن فرعون كان رجلا مهذبا
واسع الصدر لا يستنكف التفاهم بالتي هي أحسن حتى مع دخيل أجنب
توحى حر كانه وسكناته بأنه مشعوذ سحار . لقد كان يفتقر إلى
الصرامة والقسوة اللازمين لتكوين شخصية الطاغية . وقد كلفه ذلك
عرشه وحياته .

هذا هو فرعون موسى ، فرعون مصر المفتري عليه .

وبودنا أن نترث هنا لحظة للنسائل انفسنا عن مظاهر استعباد
فرعون الجديد هذا لبني إسرائيل :

١ — هل نزع العبريين من الإقطاعية التي حبا فرعون القديم بها
أسلافهم في أرض جاسان ؟
لا يبدو أن الأمر كذلك ، فقد لبثوا فيها إلى اليوم الذي ظعنوا فيه عن
مصر مشكورين ، وآية ذلك أنه حدث في الصخرة الموسوية السابقة أن :

« ضرب البرد جميع عشب الحقل وكسر جميع شجر الحقل -
إلا أرض جاسان حيث كان بنو إسرائيل فلم يكن فيها برد ، .

خروج ٩ : ٢٥ - ٢٦

٢ — هل كان بنو إسرائيل في عهد ذلك الفرعون يشكون
العوز والحرمان ؟

كلا ، فقد خرجوا من مصر وهم يسوقون أمامهم قطعانا كبيرة
كثيرة من الماشية .

« وصعد معهم لقيف كثير أيضا ، مع غنم وبقر ، مواشى وافرة
جدا ، .

خروج ١٢ : ٣٨

وقد حملوا معهم من الثياب ما ظلوا يرفلون فيه طوال السنين
الأربعين التي لبثوها في صحراء سيناء .

أما عن الطعام الذي كانوا يكظون به كروشهم في مصر فنحن
نسكت في شأنه بشهادتهم هم أنفسهم ، فقد ندموا وهم في البرية — ولات
ساعة مندم — على تلييتهم دعوة موسى وهرون للسير نحو الأرض
التي زعموا لهم أنها تفيض لبنا وعسلا .

« وقال لهما بنو إسرائيل ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر إذ
كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزا للشبع ، .

خروج ١٦ : ٣

وأدركوا أن الأرض التي تفيض لبنا وعسلا هي التي خرجوا
منها لا التي سيحل بهم الأجل قبل أن تقع عليها أعينهم ، فواجهوا
موسى يعرفونه بأنه غرر بهم وأوردتهم موارد التلف .

«أقليل أنك أصعدتنا من أرض تفيض لبناً وعسلاً لتيقنا في البرية ،
عدد ١٦ : ١٣

وجعلوا يتحسرون على ما فقدوه

« فعاد بنو إسرائيل وبكوا وقالوا من يطعمنا هنا . وقد تذكرنا
الاسمك الذي كنا نأكله في مصر بجنانا والقثاء والبطيخ والسكرات
والبصل الثوم ، .

عدد ١١ : ٤ - ٥

وأما عن الكاليات التي كان ينعم بها أولئك الدخلاء فيكفي أنهم
كانوا يتحلون إناثاً وذكورا بحلي من ذهب .

« قال لهم هرون انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائك
وبنيكم وبناتكم وأتوني بها ، .

خروج ٢٢ : ٢٠

ثم أنهم كانوا يحملون السلاح وكانوا عند خروجهم من مصر
متدجين فيه .

« وصعد بنو إسرائيل متجهزين من أرض مصر ،

خروج ١٢ : ١٨

ولما نادى موسى لم يخفوا سراعاً إلى تلبية نداءه بل صدقوا عنه
طويلاً .

« فكلّم موسى هكذا بني إسرائيل ولكن لم يسمعوا لموسى ،

خروج ٦ : ٩

ليس في ذلك ما يلتقي ظل الشك على زعم التوراة بأن المصريين

كانوا يعنفونهم ويفرطون عليهم وأنهم أوشكوا أن يوبقوا مواليدهم
٣ — فكيف كانوا يستعبدون اذن ؟

ألا إن في الحديث عن استعباد المصريين لهم لإفراطاً وشططاً .

٤ — وعلى فرض أن ثمة عبودية فن الذي ضربها على العبريين
والمصريين جميعاً ؟

إنه دخيل من بني إسرائيل لم يزل يحتال على فرعون حتى ظفر بشقته
« فقال فرعون لعبيده هل نجد مثل هذا رجلاً فيه روح الله (١) ،

تكوين ٤١ : ٣٨

لقد قبض يوسف على أزمة الأمور في مصر وأصبح صاحب الأمر
والنهي فيها ، ودأب يختزن القمح في أهراء فرعون حتى إذا ما انصرفت
سنين (٢) الرخاء وأجذب القوم اهتبل (٣) جوعهم فاستصفي (٤) ما كانوا
يملكون من عقار وما كانوا يدخرون من نقود ثم خسرهم — ولا
خيار — بين العيش عبيداً أو الموت جياعاً .

« فقال يوسف للشعب إني قد اشتريتك اليوم وأرضكم لفرعون ،

تكوين ٤٧ : ٢٣

(١) إن استعمال كلمة « الله » في حديث فرعون إلى حاشيته يدل على أنه
هو وقومه كانوا مؤمنين يدينون بالوحدانية قبل موسى بأكثر من قرنين .
(٢) هنا عامنا كلمة سنين معاملة جمع التكسير لمعاملة جمع المذكر السالم بما يجعلها
« انصرفت سنو الرخاء » وقد روى عن الرسول أنه قال : اللهم اجعلها عليهم
سنتين كننين يوسف .

(٣) اهتبل الصيد : بقاء واحتال عليه ، وفي الحديث « من اهتبل جوعه مؤمن »
أي تحينها واغتنمها .

(٤) استصفي مال فلان : أخذه كله .

هـ - وقد بارك يهوه هذه العبودية زمنا طويلا ثم تذكر لحاة موثقا كان قد قطعه على نفسه لإسرائيل وأبى إسرائيل وجد إسرائيل -

فتذكر الله ميثاقه مع إبراهيم وإسحق ويعقوب ،
خروج ٢ : ٢٤

فتحرك بعد لاي وآلى على نفسه أن ينقذ العبرانيين ويحررهم من العبودية تاركا من سواهم من الشعوب والطوائف يرسفون في اغلالها .

فلم هذه التفرقة ؟

هل كان الآخرون غير أحراباء بالتححرر ؟

وهل كان تحرير العبرانيين أهم مافي العالم ؟

ولم عفى يهوه بتحريرهم من نير المصريين وخدمهم وسمح بأن يتعبد لهم الآشوريون (١) والبابليون (٢) والرومان (٣) وغيرهم بعد ذلك .

(١) عندما افتتح ملكهم سرجون الثاني مملكة إسرائيل وحاضرتها السامرة - ٧٢٢ ق.م ونفى الألوف من أهلها .

(٢) عندما افتتح ملكهم نبوخذنصر مملكة يهوذا وحاضرتها أورشليم - سنة ٥٨٦ ق.م وهدم الهيكل السلياني وسبي الألوف من أهلها .

(٣) دوخ القائد الروماني بومبي مملكة يهوذا سنة ٦٣ ق.م وكانت الامبراطورية الرومانية في القرن الأول الميلادي تعيش على تسخير العبيد . وفي سنة ٧٠م اقتحمت جحافل الرومان ربوع أورشليم المتمردة وصيرتها خرابا يبابا وأضرمت النار في الهيكل وأسرت من اليهود جما غفيرا فقتلت من ساعتها فريقا منهم وأرسلت بفريق آخر ليصطرح في الملاعب تلبية للجماهير العابثة وسأقت الباقيين إلى الناجم والمهاجر يكابدون فيها أشق الأعمال .

٤

بيت العبودية في مصر

أجل ، دار الزمن دورته ففضى يوسف وفرعون يوسف ، واقتعد العرش بعده أبناء وحفدة ، وآل الامر ذات يوم إلى فرعون جديد ذى نظر حديد وبأس شديد فحصى عن أمر هؤلاء الدخلاء فلم ترقه أحوالهم ، فطوى عنهم كشحه وحرّمهم بعض الامتيازات التي كان قد جباهم بها يوسف وفرعون يوسف وأوجب عليهم أن يعملوا ليكسبوا قوتهم كادحين لا متطفلين فأجهدوا ولم يكرهوا قد ألفوا أن يبذلوا جهداً ، وكان من الطبيعي ، وهم جيل من الهمج لم تتصل بهم أسباب الحضارة ، أن تناط بهم الاعمال التي تتطلب جهداً بدنياً لا تصحبه بالضرورة خبرة فنية كضرب الابن وتشديد المباني .

وخف إليهم موسى من مدين وجعل يلوح لهم بعصاه فأخذتهم العزة بالإثم وانتفخت أوداجهم (١) كما انتفخت أوداج السوديت (٢) عندما تراءى لهم هتلر تهدر شفاشقه (٣) بتمجيد « الشعب السيد » فعضوا

(١) الودج (بفتحين) : عرق الأخدع الذي يقطعه الذابح فلا يبق معه حياة . والودجان ينتفخان عند الغضب .

(٢) السوديت : هم ألقاب من آلمان الجنوب هاجروا إلى تشيكوسلوفاكيا وأوطنوا بها ثم انقلبوا عليها إبان الحرب العالمية الثانية .

(٣) الشفاشقة : لها البعير . وقيل شيء كالرئة يخرج البعير من فيه إذا هاج . ويقال للفصيح هدرت شفاشقه .

أبدي المواطنين الأصلاء التي لم تفتأ تحشو بالطعام أفواههم الفاغرة قرناً بعد قرن (١). وأهوى موسى إلى مصر المضيايف بضربات مروعة واحدة لآثر أخرى ، فأوبق شعب مصر وقتك بأنعامه واقتل أبكاره ثم أغرق الجيش المصري في قعر البحر .

تلك قصة كهنوتية تفصح عن أمانى اليهود العدوانية ، وهي ليست فوق مستوى الشكوك والريب :

١ - فقد أغفلها كثير من الأنبياء ذوى الخطر مثل عاموس وأشعيا .

٢ - ثم إن كلمة « من بيت العبودية » التي زج بها في الوصية الموسوية الأولى لا وجود لها في أقدم المخطوطات العبرية .

٣ - ما ... ا قى سنها اليهود لأنفسهم .

(أ) بأن يأكلوا في عيد الفصح خبزاً فطيراً غير خمير .

(ب) بأن يذبحوا خرافاً للتضحية بها .

فإنها ليست أثراً لتلك الحادثة التي قيل فيها :

« فحمل الشعب عجبتهم قبل أن يحتمر ومعا جنهم مصرورة في ثيابهم على أكتافهم » .

خروج ١٢ : ٣٤

والتي طوعاً لها - تقول الوصية الثانية لكل يهودي :

« تحفظ عيد الفطير . سبعة أيام تأكل فطيراً كما أمرتك في وقت

شهر أبيب خرجت من مصر »

خروج ٣٤ : ١٨

بل إن هذين التقليدين هما عادتان الإسرائيليون في زمن سابق لزمن تلك الحادثة . وما زال أعراب البوادي ، وهم أيضاً من الساميين يأكلون الخبز الفطير ويذبحون الخراف في أعيادهم الدينية . وهذا الذبح هو تضحية رمزية بالسكان البشرى تهدئة للآلهة الغضاب ، وذلك شيء كانت تمارسه قبائل الهمج البدائيين وكانت لا تنفك في رهبة وذعر من غضب الطبيعة .

٤ - وقد اجتمع رأى غير قليل من العلماء المنقطعين لتاريخ مصر وسواهم من المتفرغين لتاريخ العبريين على أن بنى إسرائيل لم يقيموا بالديار المصرية خلال تلك الحقبة التي يؤرخها سفر الخروج .

وتم أقوال بعض من يعتد برأيهم من العلماء الأمريكيين :

١ - قال جوزف ب. ألكسندر أمين معهد اللاهوت اليهودى في نيويورك .

« ليس في خارج الكتاب المقدس من دليل يقطع باعترا ب الإسرائيليين في مصر » .

٢ - وقال ولیم سى . هيز من علماء قسم الفنون المصرية بالمتحف القنى لحاضرة ولاية نيويورك .

« وفيما يتصل بتقصى تاريخ مصر من آثارها ، ليس ثم برهان تاريخى على أن اليهود عاشوا يوماً في مصر ، عبيداً أو غير عبيد » .

٣ - وأعلن دكتور فيليب حتى أستاذ الآداب السامية بجامعة برنستون أنه .

« لم يدون شيء عن استعباد اليهود في مصر غير ما في الكتاب » .

٤ - وذكر جون أ. ولسن مدير المعهد الشرقى بجامعة شيكاغو

« أن عالم العاديات المصرية الذائع الصيت جيمس هنرى برستد لم يكن الوحيد الذى أخفق خلال مباحثه طوال أربعين عاما فى العثور على دليل نوعى على اضطهاد بنى إسرائيل فى مصر ، بل لأنه لم يعثر عالم ما على دليل واضح فيما يتصل بهذا الحادث التاريخى . »

٥ — وصرح دكتور سدنى سميث أمين المتحف البريطانى ، وهو من أعظم الثقات فى فن العاديات المصرية قائلا :

« لست أعتقد أن ثم برهانا حاسما فى غير الكتاب المقدس على أن أسباط بنى إسرائيل كانت فى مصر قبل أن تغزو فلسطين . »

٦ — واعترف أبرام ليون زخار فى التاريخ الأوروبى بجامعة إلينوى بأنه :

« ليس ثم برهان مفهم ، على وجود موسى ، وبأن « أبرز شخصوس التاريخ اليهودى هم وليدو الخيال ، وبأن « لإيطان اليهود بمصر ... ليس عليه برهان يقينى كاف ، بل هو مشار شك مريب . »

٧ — وذكر الاستاذ الجامعى سالو . بارون فى كتابه « تاريخ اجتماعى ودينى لليهود » أنه ليس ثم برهان موثوق به على صحة خروج اليهود من مصر ثم قال .

« لو كان شيء من ذلك قد حدث حقا لكان قد بلغ من ضآلة الشأن ما جعل المصريين يوفرون على أنفسهم مشقة تدوينه . »

وقصارى القول أن قصة استعباد المصريين لليهود هى فرية لا حظ لها من الصحة ، يسد أنه بذلت فى ترويجها دعاوة بلغ من قوتها أن حملت المصريين أنفسهم على استئزال اللعنة على آبائهم العظام والتحزب

للمشعوذة بنى إسرائيل ، أولئك الذين لم يستعبدوا فى مصر قط ومع ذلك حفزهم التعصب الاعمى للصهيونية على أن يحشموا أنفسهم عتياً شديداً ليذكروا حادثة لم تكن . وقد افتروا على أهل مصر الكذب لاذ جعلوا يهوه يستهل وصاياه العشر بقوله :

« أنا الرب إلهك الذى أخرجك من مصر من بيت العبودية ، »

خروج ٢٠ : ٢

وهى كلمة لم يكتف بذكرها مرة أو اثنتين بل ردها عشرات المرات .

« أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين . وأنا حملتكم على أجنحة النسور (١) وجئت بسكم لى . »

خروج ١٩ : ٤

« أنا الرب إلهكم الذى أخرجكم من أرض مصر من كونكم عبيدا ووقطع قيود نيركم وسيركم قياما . »

لاويون ٢٦ : ١٣

(١) وواقع الحال أنه أضلهم فى التيه ٤٠ عاما طوام الموت خلالها فلم يصل من الملايين الثلاثة الذين بدأوا النقلة إلى أرض الميعاد غير شخصين اثنين لا ثالث لهما . « فغى غضب الرب على إسرائيل فى ذلك اليوم وأقسم قائلا : لن يرى الناس الذين صعدوا من مصر ابن عشرين سنة فصاعدا الأرض التى أقسمت لإبراهيم وإسحق ويعقوب لأنهم لم يقبضوا تماما . ما عدا كالب بن يفته القنزى ويشوع بن نون لأنهما اتبعا الرب تماما . فغى غضب الرب على إسرائيل وأتاهم فى البرية أربعين سنة حتى فنى كل الجيل الذى فعل الشر فى عيني الرب . »

عدد ٣٢ : ١٠ - ١٣

« واذكر أنك كنت عبداً في أرض مصر فأخرجك الرب إليك من هناك بيد شديدة وذراع ممدودة » .

تثنية ٥ : ١٥

« ومتى أتى بك الرب إليك إلى الأرض التي حلف لآبائك إبراهيم وإسحق ويعقوب أن يعطيك . إلى مدن عظيمة جداً لم تدبها وبيوت مملوءة كل خير لم تملأها وآبار محفورة لم تحفرها وكروم وزيتون لم تفرسها وأكلت وشبعت . فاحترز لئلا تنسى الرب الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية » .

تثنية ٦ : ١٠ - ١٣

« وقال الرب ليشوع اليوم قد دحرجت عنكم عار مصر ، فدعى اسم ذلك المكان الجلجال إلى هذا اليوم » .

يشوع ٥ : ٩

وهلم جراً .

لأن امرأ كاتنا من كان وبالفة أعماله من العظم ما بلغت ، لهج بذكر أعماله والإشادة بمآثره في مثل هذا الازدهاء لغض ذلك من منزلته وأسقط من مروءته .

ولو أننا وإزنا بين ما فعله كل من يهوه وأبراهام لنسكن في تحرير العبيد الوجدنا :

١٢٠٠ - أن لنسكن ، وقد حرر عبيد الولايات المتحدة جميعاً في سنة

١٨٦٣ (١) لم يباه قط بالعمل الجليل الذي أنجزه ولم ينبس بكلمة تتم على عجيب بالنفس ولم يمن على الذين وضع عنهم إصر الرق .

٢ - وما يضاعف من قيمة العمل الذي أنجزه أنه لم يكن زنجياً يحرق شعبه وإنما كان امرأ يؤمن بفكرة (٢) فبذل في سبيلها وغامر بإشعال الحرب الأهلية .

٣ - وإذا كان هذا الرجل قد استطاع أن يحرر عبيد أمريكا أجمعين فلا ريب أنه كان في وسع الإله يهوه أن يحرر عبيد العالم قاطبة .

٤ - ثم إن لنسكن لم يبح للعبيد الذين رفع نير الرق عن كواهلهم أن يسترقوا لسكان من كان ، أما يهوه فقد حرر بني إسرائيل من تعبد المصريين لهم ولكنه تركهم عبيداً للبلوك ، وهذا يتضح من قول الإسرائيليين عندما برز العملاق الفلسطيني جليات (جالوت) يتحداهم أن يرسلوا إليه من يبارزه .

« فيكون أن الرجل الذي يقتله يغنيه الملك غنى جزيلاً ويعطيه بنته ويجعل بيت أبيه حراً في إسرائيل » .

١ صموئيل ١٧ : ٢٥

(١) ألغت بريطانيا الرق في بلادها سنة ١٨٠٨ م وألغته في مستعمراتها سنة ١٨٣٣ م . وعقدت هي وحكومة الحديو اسماعيل معاهدة في ١٤ أغسطس سنة ١٨٧٧ م ألغت مصر بمقتضاها الرق في بلادها ، فأثار ذلك حفيظة الكثيرين من رجال الدين وهبوا ينكرون هذا الإلغاء قائلين : كيف تحرمون ما أحله الله ؟ (٢) ويعزو بعضهم تحريره العبيد إلى أسباب اقتصادية ويرى غيرهم أن ذلك كان تدبيراً حربياً يتفق به لضعاف الجنوبيين .

كما أنه مستفاد من الشريعة الخاصة بالاسترقاق ومعاملة الأرقاء .
« . . . إن قال العبد سيدي وامرأتى وأولادى لا أخرج حراً
يقدمه سيده إلى الله ويقربه إلى الباب أو إلى القائمة ويشقب سيده أذنه
بالمثقاب . فيخدمه إلى الأبد » .

خروج ٣١ : ٥-٦

وهي تبيح لليهود أن يبيعوا بناتهم فينظم في سلك الإماء .
« وإذا باع رجل ابنته أمة لا تخرج كما يخرج العبيد » .

خروج ٢١ : ٧

وقصارى القول أن يهوه لا ينكر الاسترقاق في ذاته بل إن كل
ما ينكره هو أن يسترق الأجانب أبناء شعبه المختار .

٥ - ثم إنه يحض اليهود على استرقاق من عداهم ويأمرهم بشن
حملات من النخاسين يخطفون أبناء الشعوب الأخرى ويبيعونهم أرقاء .

« حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح فإن
أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الموجود فيها يكون لك للتسخير
ويستعبد لك . وإن لم تسالمك . . . فأضرب جميع ذكورها بحد
السيف » .

تثنية ٢٠ : ١٠-١٤

٦ - وأباح للملكى الرقاب أن يضربوهم ويشخضونهم وإن أفضى
بهم ذلك إلى الموت .

« إذا ضرب إنسان عبده أو أمته بالعصا فمات تحت يده ينتقم منه .
لكن إن بق يوماً أو يومين لا ينتقم منه لأنه ماله » .

خروج ٢١ : ٢٠-٢١

٧ - ومهما يكن من أمر ما تزعمه التوراة من استرقاق المصريين
للعبريين فإن يهوه هو آخر من يحق له الخوض في هذا الموضوع ، فلقد
شرع لليهود أن يتخذوا لهم عبيداً من أبناء الشعوب الأخرى الذين
يقيمون في ربوع اليهود أو على مقربة منها .

« وأما عبيدك وإماءك الذين يكونون لك من الشعوب الذين
حولكم منهم تقتنون عبيداً وإماء . وأيضاً من أبناء المستوطنين
النازلين عندكم . منهم تقتنون ومن عشائركم الذين عندكم الذين يلدونهم
في أرضكم ، فيكونون ملكاً لكم وتستملكونهم لأبنائكم من بعدكم
ميراث ملك . تستعبدونهم إلى الأبد » .

لاويون ٢٥ : ٤٤-٤٦

وهل فعل المصريون بالعبريين النازلين عندهم شراً من ذلك ؟

أحرام على بلبله الدوح حلال للطير من كل جنس
أحمد شوقي

أهل البلاد ، وقد استغرق ذلك نحو ٤ قرون . وكان رمسيس الثاني قد خضد شوكة (١) الكنعانيين من قبل ثم جاء الإسرائيليون فكان قصارى جهدهم أن يتقدموا في البلاد هوناً ما كلما واتتهم فرصة ، من هذا الجانب تارة ومن ذاك تارة أخرى ، ولئن ألقوا الظفر ميسراً في الجبال لقد دحرتهم عجالات الكنعانيين الحربية في السهول .

« وكان الرب مع يهوذا فللك الجبل ولكن لم يطرد (٢) سكان الوادى لأن لهم مركبات من حديد » .

قضاة ١ : ١٩

« وكان » بيت يوسف ، يقاتل في الطليعة تحت إمرة يشوع ، وكذلك شاركت سائر الأسباط في القتال على صورة من الصور ونازعت بيت يوسف أسلاب الحرب .

وتناسى كاتبو « العهد القديم » هزائم قومهم المتتالية طوال ٤ قرون من عهد يشوع (٣) إلى عهد صموئيل .

« وخارب الفلسطينيون وانكسر إسرائيل وهربوا كل واحد إلى خيمته . وكانت الضربة عظيمة جداً . وسقط من إسرائيل ثلاثون ألف راجل . وأخذ تابوت الله ومات إبننا عالي حفي وفينجاس » .

١ صموئيل ٤ - ١٠ - ١١

(١) خضد العود : كسره . خضد الشجر : قطع شوكة .

(٢) صواب الزجحة هو ... ولكنه لم يقو على طرد سكان الوادى ...

(٣) وقد بلغ هذا البطل فيما بعد شأواً بعيداً عند السامريين وقد أخرجوا في القرون الوسطى كتاباً غير كنسى ينوه به ، والكتاب باللغة العربية ويغلب أن يكون مترجماً عن العربية .

موسى الآخر

يجمل كتاب الاسفار المقدسة ما يعتلج في صدور الشعوب من آلام وما يطوف بأذهانها من آمال ، ومن ثم كانوا لا يلقون بالاً إلى كفاحها الجماعى ، فكل ماتم ويتم من منجزات جليلة الشأن إنما قام به - في عرفهم - الرجال الأبطال . وقد جاء « العهد القديم » متأثراً بهذا النهج الاوتوقراطي ، فقد جعلوا فيه لكل حقبة من الزمان بطلاً أو حله كل ما وقع ومالم يقع في تلك الحقبة من جسام الاعمال وضربوا عرض الحائط بما تتابع آنثذ من أعمال البطولة الصغرى .

١ - فقد نسبوا إلى إبراهيم أنه ظعن بأسرته وبعبيده من أور الكلدان إلى أرض كنعان ، وكان الاحجى أن ينسبوا هذه الهجرة إلى عشيرة إبراهيم أو إلى غيرها من أسلاف اليهود ، أو لئك الذين كانوا يرابطون على مشارف بلاد الكلدان .

٢ - ونسبوا إلى يوسف أنه أدخل بني إسرائيل إلى مصر فافتشوا يفرخون فيها ويفقسون حتى بلغ عددهم قرابة الثلاثة الملايين .

٣ - ونسبوا إلى موسى أنه أخرج هؤلاء جميعاً من مصر المأهولة إلى صحراء سيناء ومضى بهم إلى تخوم فلسطين ، وأنه حباهم في خلال ذلك شريعة « قامة الصنع » ، وبذلك كان وحده مخلص بني إسرائيل .

٤ - وعزوا إلى يشوع بن نون أنه نهض بالمهمة التي تتلو لإخراج بني إسرائيل من مصر وهي إدخالهم فلسطين والفتك بمن يعمرها من

وضغطوا أحداث تلك القرون واختزلوا تلك الحقبة الطويلة لتستوعبها حياة رجل واحد وجيل واحد من الناس . فلم يبق أمام البطل الشعبي الذى زانوا هامته بهالة من السناء وراكوا حول اسمه قصص البطولة الحربية ، مناص من الاستعانة على إنجاز مهمته العويصة باجتراح معجزات باهرة .

وقد لوحظ أنه نحا منحى موسى فى معجزاته وتصرفاته .

١ — فلقد عبر موسى وقومه البحر الأحمر (أو إحدى البحيرات أو أحد أفرع النيل) فوق قعره المجفف .

« ومد موسى يده على البحر ، فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة وانشق الماء . فدخل بنو إسرائيل فى وسط البحر على اليابسة والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم . »

خروج ١٤ : ٢١ - ٢٢

وعبر يشوع بأبنائهم نهر الأردن على ذلك النحو .

« وقفت المياه المنحدرة من فوق ... والمنحدرة إلى بحر العربى بحر الملح انقطعت تماما وعبر الشعب مقابل أريحا . »

يشوع ٣ : ١٧

٢ — وأقام موسى فى سفح جبل سيناء ١٢ عمودا .

« وبكر فى الصباح وبني مذبحاً فى أسفل الجبل وأثنى عشر عمودا لاسباط إسرائيل الاثني عشر ،

خروج ٢٤ : ٤

ونصب يشوع ١٢ حجراً فى الجبل (١) .

« والاثني عشر حجراً التى أخذوها من الأردن نصبها يشوع فى الجبل . »

يشوع ٤ : ٢٠

٣ — وأحيا موسى منسك الختان

« وقال الرب لموسى وهرون هذه فريضة الفصح . كل ابن غريب لا يأكل منه . ولسكن كل عبد رجل مبتاع بفضة تحتنه ثم يأكل منه . »

خروج ١٢ : ٤٣ - ٤٤

وكذلك أحياه يشوع .

« فصنع يشوع سكاكين من صوان وختن بنى إسرائيل فى تل القلف . »

يشوع ٥ : ٣

٤ — واشترع موسى سنة الاحتفال فى عيد الفصح .

« ويكون لكم هذا اليوم تذكارا فتعيدونه عيدا للرب . فى أجيالكم تعيدونه فريضة أبدية . سبعة أيام تأكلون فطيراً ... »

خروج ١٢ : ١٤ - ١٥

(١) كلمة « جبل » معناها دائرة . وفى فلسطين كثير من هذه الدوائر وهى تشبه الدوائر التى أقيمت فى أنحاء شتى من أوروبا فى العصرين النيوليثى (الحجرى الحديث) والبرونزى .

« وقال الرب ليشوع » (بعد أن ختن قومه) « اليوم قد دحرجت عنكم عار مصر . فدعى اسم ذلك المكان الجبل إلى هذا اليوم . »

يشوع ٥ : ٩

واحتفل له يشوع وقومه .

« خل بنو إسرائيل في الجبال وعملوا الفصح في اليوم الرابع عشر من الشهر مساء في عربات (١) أريحا . وأكلوا من غلة الأرض في الغد بعد الفصح فطيراً وفريكا في نفس ذلك اليوم » .

يشوع ٥ : ١٠ - ١١

٥ - وقال الله لموسى « إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى (٢) » .

« فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال موسى موسى . فقال ها أنذا . فقال لا تقترب إلى هنا . اخلع حذاءك من رجلك لأن الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة .

خروج ٣ : ٤ - ٥

وكذلك قال ليشوع .

« وقال رئيس جند الرب ليشوع اخلع نعلك من رجلك لأن المكان الذى أنت واقف عليه هو مقدس ... »

يشوع ٥ : ١٥

٦ - ونقش موسى شريعته على لوحين من الحجر (٣) .

(١) كلمة « عربات » تعنى سهلاً أو بسيطاً من الأرض .

(٢) هذا هو نص الآية ١٢ من سورة طه . وقد اختلف الشراح في مدلول كلمة « طوى » فقال بعضهم إنها اسم الوادى الذى رأى موسى فيه نارا . وقال آخرون طوى بمعنى ثنى أى أنه نودى نداءين « موسى موسى » أو قدس الوادى مرتين . (٣) مع ملاحظة أنهم في ذلك العهد لم يكونوا قد ابتدعوا الخط العبرى بعد .

« ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء لوحى الشهادة لوحى حجر مكتوبين بإصبع الله » .

خروج ٣١ : ١٨

وفعل يشوع قبيل موته ما يشبه ذلك .

« وكتب يشوع هذا الكلام في سفر شريعة الله . وأخذ حجراً كبيراً ونصبه هناك تحت البلوطة التى عند مقدس الرب . ثم قال يشوع لجميع الشعب . إن هذا الحجر يكون شاهداً علينا لأنه قد سمع كل كلام الرب الذى كلمنا به فيكون شاهداً عليكم لئلا تيحيدوا الحكم » .

يشوع ٢٤ : ٢٦ - ٢٧

*

وقد كان على كتبة سفر يشوع كيما يضغطون أعمال قرون ويصورونها كأنما أتاها كلها يشوع في بضع سنوات أن يجعلوا يشوع يأتى من المعجزات مثل ما أناه موسى (١) بل أن يبذه في ذلك :

١ - فيسقط أسوار أريحا بالنفخ في الصور (٢) وإطلاق صيحة يخر لها سور المدينة منهاراً .

(١) ولهذا نحل كتاب « العهد القديم » يشوع كثيراً من أعمال موسى ، فكان ذلك مما يبعث على الظن أن يشوع هذا ليس شخصاً تاريخياً بل هو أتمزوج أسطورى متكرر لموسى . ويعتقد بعض العلماء أن موسى ويشوع والإله الإغريق ديونيسس أصناء نجموا من أسطورة واحدة ، فإننا نجد في سيرة ذلك الإله أنهم ساروا به في موكب وهم يحملونه في سلة ملأى بالحشائش ، وأنه لما اشتد عوده شق طريقه في البحر ليعبره هو وجيشه ، وأنه ضرب الأرض بعصاه فنبع منها الماء ، وأنه نقش شريعته في ألواح من الحجر .

وكلمة « يسوع » هي الصيغة اليونانية للاسم العبرى « يشوع » ومن ثم كان أصحاب النظرية الأسطورية يعتقدون أن قصة يسوع المسيح قد نشأت بتطور أسطورة لاله فلسطينى يدعى يشوع كانت تعزى إليه من الأعمال ما بات يعزى بعد ذلك إلى يسوع . (٢) هو النفير أى البوق يتخذ من قرن الكبش .

« وكان حين سمع الشعب صوت البوق أن الشعب هتف هتافا عظيما فسقط السور في مكانه وصعد الشعب إلى المدينة كل رجل مع وجهه وأخذوا المدينة وحرّموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والخيول بحد السيف » .

يشوع ٦ : ٢٠ - ٢١

٢ - ويرى أعداء اليهود بحجارة من سجيل (١) .

« وبينما هم هاربون من أمام إسرائيل وهم في منحدر بيت حورون رماهم الرب بحجارة عظيمة من السماء » .

يشوع ١٠ - ١١

٣ - ثم هو لا ينتهي في عبثه بنظام الكون عند حد، فيأبى إلا أن يقف الشمس والقمر عن المسير في فلكيهما حتى يفرغ من ذبح الاموريين في وضح النهار .

« حينئذ كلم يشوع الرب يوم أسلم الرب الاموريين أمام بني إسرائيل وقال أمام عيون إسرائيل يا شمس دومي على جبعون ويا قمر على وادي أيلون . فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب

(١) السجيل : حصي من طين متحجر ، وفي سورة الفيل أن الله أنقذ الكعبة في الجاهلية من جيش أبرهة الحبشي المسيحي وكانت يريد هدمها فوق رؤوس الاسنام التي يحفل بها فناقوها فسير على ذلك الجيش جماعات من الطير تسقط عليهم هذه الأحجار المهلكة ، وقيل إن ذلك كان في العام الذي ولد فيه الرسول أو قبل ذلك بقليل .

من أعدائه (١) » .

يشوع ١٠٠ : ١٢ - ١٣

(١) تحوى القصص الشعبية المتخلفة عن الشعوب القديمة على غير قليل من الحكايات المشابهة ، فقد وقف باكوس دورة الشمس والقمر . وفي أسطورة هندية أن الشمس أمسكت عن الدوران لتستمع لى المراثية التي ألغاها أرجوان في تأبين بوذا عقب موته .

وعند قديس بوذى أسمه مانانيا إلى القمر فشقّه ووقف الشمس عن أن تبرغ . وكذلك وقفت الشمس مكانها في قصة شعبية صينية ، وفي أخرى مكسيكية . وحدث على العكس من ذلك في إلياذة هوميروس أن الإلهة هيرى جعلت الشمس تسرع بالغروب ، ومن الواضح أنه لو حدث شيء من ذلك لشهد العالم أجمع .

وقال بعض الشراح في تفسير الآية :

« اقتربت الساعة وانشق القمر » . القمر ١

إن المشرّكين سألوا الرسول آية فأشار إلى القمر فانشق وقال آخرون إنها لغة تعني أنه سينشق يوم القيامة .

ومهما يكن من أمر ، فقد كان على يشوع ليطلب أمد النهار أن يقف الأرض - لا الشمس - عن الدوران ، بيد أن يشوع (أو بالأحرى كاتب السفر المنسوب إليه) كان يعتقد أن تعاقب الليل والنهار رهن بحركة الشمس في دورانها حول الأرض التي هي ثابتة مكانها .

قال مارتين لوتر مؤسس المذهب البروتستانتي (ولعل ذلك كان في معرض تعليق له على ما اكتشفه كوبرنيكس سنة ١٥٤٣ م أن الأرض هي التي تدور حول الشمس لا العكس :

لقد أصاخ الشعب سمعاً لمتشغل بالتنجيم برز فجأة يزعم أن الأرض هي التي تدور وليست السموات ولا الشمس والقمر . ولا غنى لمن يود أن يبدو ماهرا من أن يتكرر نظاما جديدا يكون - بداهة - خير الأنظمة كافة . إن هذا المأفون بود أن يقلب علم الفلك كله رأساً على عقب ، ولكن الأسفار المقدسة تدبّرنا أن يشوع أمر الشمس أن تقف ولم يأمر الأرض .

وتقول قصة التوراة إن القابليتين لم تستجيبا إلى الرغبة الملكية السامية فأعفاهما فرعون من إنفاذ أمره وبذلك انحسم الموضوع .

وقد وضعت هذه القصة المتهافنة لتسكون أساسا لاسطورة نجاة موسى بن عمران وحده دون غيره من بني إسرائيل بطريقة عجيبة ، إذ أن أمه مضت به وله من العمر ٣ أشهر و

وأخذت له سفطا (١) من البردى وطلته بالحر (٢) والزفت ووضعت

= وحدث مثل ذلك أيضاً لحورس في مصر ، وزرادشت في فارس ، وأليدس في اليونان ورومولوس في إيطاليا ، وهلم جرا .

وقل الطبرى في كتابه « السلوك في تاريخ الدول والملوك » عن . . . عن ابن اسحق أنه قال :

أتى أصحاب النجوم نمرود فقالوا له تعلم أنا نجد في علمنا أن غلاما يولد في قريتك هذه يقال له إبراهيم يفارق دينكم ويكسر أوثانكم في شهر كذا وكذا من سنة كذا ، فلما دخلت السنة التي وصف أصحاب النجوم لنمرود ، بعث نمرود إلى كل امرأة حبلى بقرية نجسها عنده إلا ما كان من أم إبراهيم عليه السلام امرأة آرر فإنه لم يعلم بحبلها وذلك أنها كانت جارية حديثة فها يذكر لم يعرف الحبل في بطنها فجعل لا تلد امرأة غلاماً في ذلك الشهر من تلك السنة إلا أمر به فذبح . فلما وجدت أم إبراهيم الطلق خرجت ليلاً إلى مقبرة كانت قريباً منها فولدت فيها إبراهيم عليه السلام وأصلحت من شأنه ما يصنع بالمولود ثم سدت عليه المقبرة ، ثم رجعت إلى بيتها ثم كانت تطالعه في المقبرة لتتأمل ما فعل فتجده حياً يمس إبهامه ، يزعمون - والله أعلم - أن الله جعل رزق إبراهيم فيها ما ينجيه من مصه . ولم يمكث إبراهيم في المقبرة إلا خمسة عشر شهراً حتى قال لأمه أخرجيني أنظر . أ هـ .

وهذه القصة الطريفة لا أساس لها في التوراة ولعلماء من ابتكار بعض أصحاب ابن عباس من اليهود الذين يروجون الحرافات الإسرائيلية .

(١) السفط : وعاء كالجوالق (الشوال) أو كالكفة ، ويستعمل للتأبوت الصغير ، هو - وعاء من قضبان الشجر ونحوها توضع فيه الأشياء كالفاكهة والثياب (مولد) (٢) الحر : القطران .

مولد مخلص اليهود

هنالك قصة فخواها أن فرعون موسى تعاضله ازدياد للعبريين في العدد والقوة فرأى أن يتقي خطرهم باستئصال شأفتهم ، فدعا إليه القابليتين العبرانيتين (اللتين لا ثلاثة لهما بين ٣ ملايين من بني إسرائيل منبئين في رقعة فسيحة من الأرض) وطلب إليهما أن يقتلا كل من يولد على أيديهما من ذكور مواليد بني جنسهما .

« وكلم ملك مصر قابليتي العبرانيات اللتين اسم إحداهما شفرة واسم الأخرى فوعة . وقال : حينما تولدان العبرانيات وتظرانني على السكراسي ، إن كان ابنا فاقتلاه وإن كان بنتا ففتحيا » .

خروج ١ : ١٥ - ١٦

هذه القصة الساذجة التي تلبس عاهل مصر العظيم ثوب العجز عن التخلص من عبئيه المناكيد بإجراء حاسم مع اقتناعه بشدة خطرهم فيفسد إلى الانتثار هو وقابلتان في ذلك المطلب السخيف ، هذه القصة هي الصورة اليهودية لاسطورة طالما صحبت مولد المخلصين لتضفي عليهم الجلال والبهاء (١) .

(١) ومن ذلك أن الملك الطاغية كنزا كان يطلب حياة الإله الطفل كرشنا فهربت به أمه مابا هي وزوجها إلى بلدة ماطورة . وأن الملك هيرودس كان يطلب حياة الإله الطفل يسوع فهربت به أمه ماريامى وخطيها إلى بلدة المطرية بمصر . وحدث في مصر قبل ذلك أن الملك الطاغية أموليوس كان يتعقب الطفل الإلهي أو زيريس فأخفاه أبواه في موضع على إحدى شعب النيل . =

الوالدية ووضعته بين الحلفاء على حافة النهر (١).

خروج ٢: ٢٠.

وهكذا نجد أن موسى ، وإن يكن قد ولد بطريقة سوية غير خارقة كولدادة يشوع ، قد أنقذ من الهلكة مثله بطريقة خارقة .

ويرى بعض الباحثين أن موسى قد ألقى به في اليم لابتصه لإنقاذه بل للتبليغ من صحة نسبه ، فقد كان المألوف في ذلك الزمن الجاهلي أن يمتحن الطفل الذي يستراب بصحة نسبه بأن يلقى به في اليم ، فإذا طفا على وجه الماء رأوا في ذلك برهانا على شرعية مولده وإذا غرق عدوه نفلا (٢).

ومثار التظن في نسب موسى أن أباه عيرام (عمران) تزوج عتمته يوكابد وأولدها إياه .

(١) وعند المسلمين أن أم موسى ألفت بتابوته في النهر لا على حافته ، وهذا يجعل لتغيير التابوت بالقار معنى ، كما أنه يوائم الأسم الذي أطلقته عليه ابنة فرعون .

« ودعت اسمه موسى وقالت إنني انتشلته من الماء » خروج ٢: ٢٠ .

(٢) نفل الأدم : فسد في الدباغ . والنفل : ولد الزنية لفساد نسبه . والنفل : كل حيوان أبوه من نوع وأمه من آخر .

وهذا الامتحان لصحة النسب بإلقاء الطفل في اليم لا يركن إلى دعاء من العلم ، وهو يذكرنا بما كانوا يعمدون إليه لاستكناه أمر المرأة التي يسترب زوجها بأمتها الزوجية ، إذ يأخذها إلى الكاهن ويوفيه رسوم الامتحان فيقوم الكاهن ببعض الحركات ويتمم ببعض الألفاظ ثم يسقيها ماء ملوثا بالتراب .

« ومشي سقاها الماء فإن كانت قد تنجست وخانت زوجها يدخل ماء اللعنة للمراة فيرم بطئها وتلقط فخذها فتصير المراة لعنة في وسط شعبها . وإن لم تكن المراة قد تنجست بل كانت طاهرة تتبرأ وتحبل بزرع » عدد ٥ : ٢٧ - ٢٨

« وأخذ عيرام يوكابد عتمته زوجة له فولدت له هرون وموسى »

خروج ٦: ٢٠.

وكان اليهود يعمدون مثل هذا الزواج زمانا بين المحارم وذلك هنا سجلته الشريعة الموسوية فيما بعد .

« عورة أخت أمك أو أخت أبنك لا تكشف : لأنه قد عرى قريبتك . يحملان ذنبهما » .

لاويون ٢٠: ١٩

كانت أسطورة الطفل الطافي على صفحة الماء ذائعة بين جميع الشعوب . ومن المحتمل أن تكون قصة نجاة موسى من الموت على هذا النحو منتحلة من قصة سرجون الآب أول ملوك الساميين وكان يحكم بابل قبل المسيح بخمسة وعشرين قرنا ، وتقول قصته أنه وضع وهو طفل في سلة من الحلفاء مطلية بالحرير أقرت بين الأعشاب النامية على ضفة الفرات ، فحمله النهر إلى حيث أنقذه أحد الناس واستخدمه في هيستانه ، ثم هامت به الإلهة عشتار فتزوجته ورفقته إلى عرش المملكة فحكها ٤ سنوات .

وقد اختار كاتب سفر الخروج ، وهو يحوك (١) هذه القصة حول موسى ، أن ينزل :

« ابنة فرعون (٢) إلى النهر لتغتسل وكانت جواربها ماشيات على جانب النهر . فرأت السفط بين الحلفاء فأرسلت أمتها وأخذته ولما

(١) حاك الثوب : نسجه .

(٢) ذكرت القصص الشعبية أن اسمها مريس .

فتحت رأت الولد وإذا هو صبي يبكي فرقت له وقالت هذا من أولاد
العبرانيين .

خروج ٢ : ٥ - ٦

وقد كانت ابنة فرعون تعلم بما يقض مضجع أبيها من أمر أطفال
العبريين ولكن ذلك لم يحجزها عن أن تنبئ ذلك الطفل وأن تطلق
عليه أسما عبريا غير معروف بين أسماء العبريين ابتدعته لتشير به إلى
حادثة عثورها على ذلك الطفل في مياه النهر .

ودعت اسمه موسى (١) وقالت أنى انتشلته من الماء .

خروج ٢ : ١٠

وطلبت ابنة فرعون ظئرا (٢) للطفل فجاءوها بأمه فأرضعته ثم
بانت عنه ففدونا لا نسمع عنها خبرا .

وهذه القصة إن دلت على شيء فإنها لتدل على أن المصريين ظلوا
ساذرين في تسامحهم لإزاء العبريين ولم يرعوا عن ذلك حق بعد أن
شب الطفل اليهودي كما وانتفض على الذين أحسنوا إليه وانقلب يكيل
لهم الضربات واحدة تلو أخرى ، فأف (٣) زرعهم وأوبق ضربهم

(١) يرجع بعض الباحثين أن هذا الاسم يعنى أن صاحبه من جهة مسرى
(musri) المجاورة لجبل حوريب ، وقد أوطنت بها إحدى قبائل بني إسرائيل على
حين اتجهت سائر القبائل صوب كنعان .

وبما هو جدير بالذكر أن الرصاصا العصر المدونة في الإصحاح الحتم للعشرين
من سفر الخروج أنزلت على موسى في سيناء ثم أنزلت عليه مرة أخرى في حوريب
بصفة جديدة هي التي في الإصحاح الخامس من سفر التثنية .

(٢) الظئر : المرضعة لغير ولدها ، يقال ظأرت المرأة والثاقة ونحوها على ولد
غيرها : عطف عليه .

(٣) أف : أوف : أضرع : أفسده .

واصطلم أبكارهم . أجل ، لم يرعوا عن تسامحهم بل تبادوا فيه
فأعاروهم حلى الذهب والفضة فذهبوا بها إلى غير رجعة ، وقد تمت هذه
السرقه بأمر موسى وبعون من رب موسى .

وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى . طلبوا من المصريين
أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا . وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون
المصريين حتى أعاروهم . فسلبوا المصريين .

خروج ١٢ : ٣٥ - ٣٦

وقد قوبلت هذه الخطة اليهودية - الموسوية بالرضا والتأييد من بني
إسرائيل ، فلم يكن اقترافهم السرقه وليد نزعة عابرة أو استجابة لإغراء
طارىء ، بل هو في تقاليدهم خطة قومية ثابتة رسمها لهم لهم فلما
أنفذوها في دقة ومضاء سجل لهم هذه المفخرة مزدهيا بها في كتابه
المقدس .

وقد كان العبريون ، كمن في مستواهم من قبائل شق المجاهل ،
يحكمون بالقتل على من يسرق في داخل نطاق القبيلة ولكنهم يشجعون
السرقه من القبائل الأخرى ، وعندهم أن يهوه خلق شق الأمم لكي
يجعل أموالهم غنيمة للأسرائيليين .

وبذلك يكون موسى قد ز ايل القصر الملكي الذي كان يحظى فيه بالإعزاز والإجلال وينعم بمباهج (البلاط) وهجر العاصمة الكبيرة التي تزخر شوارعها بالحركة وتنبض بالحياة ، ونأى عن ندوات العلماء ومجالس المفكرين وكان يناقشهم فيها أحاديث شائقة ومحاضرات متممة ويقبس منهم حكمة وهدى .

وطوح بنفسه في ذلك المهمة (١) الموحش لينفذ فيه من عمره أربعين عاما فريداً بعيداً يطوى الليل في خباء (٢) من الشعر ثم يصبح ليرعى أغنام حميه .

« وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون (٣) حميه كاهن مديان »

خروج ٣ : ١

(١) المهمة : المغارة البعيدة - والبلد الفقير .

(٢) الخباء : بيت من وبر أو شعر أو صوف يكون على عمودين أو ثلاثة وما فوق ذلك فهو بيت ، وفق الحديث أنه أتى خباء فاطمة .

(٣) هنا أصبح اسم الكاهن يثرون بديلا من رعوثيل . ذكر الطبري أن ذلك الكاهن هو المعروف باسم شعيب وأنه كان ضريرا . « وإنا لتركنا فينا ضعيفا » .

وأنه كان يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه فيما يراود بهم . ونقل عن قتادة أنه بعث إلى أمتين : إلى قومه أهل مدين وإلى أصحاب الأيكة . وكانت الأيكة من شجر ملتف ، فلما أراد الله عز وجل أن يعذبهم بعث عليهم حرا شديدا ورفع لهم العذاب كأنه سحابة فلما دنت منهم خرجوا إليها زحاجا بردها فلما كانوا تحتها مطرت عليهم نارا .

ويقول آخرون إن شميا هو بني شعب الأيكة (أى أهل الغابة) الذي دعى فيها بعد باسم مدين ، وأنه لا صلة له بيثرون بنى موسى . وينهب بعض المفسرين إلى أن موسى لم يدرك شعيباً ، إذ أن القرآن ذكر غيرا من الأنبياء بينهم شعيب ثم قال :

٧

الهجرة

وحدث في تلك الأيام لما كبر موسى أنه خرج إلى إخوته لينظر في أئمتهم . فرأى رجلا مصريا يضرب رجلا عبرانيا من إخوته . فالتفت إلى هنا وهناك ورأى أن ليس أحد فقتل المصري وطمره في الرمل .

خروج ١١ : ٢ - ١٢

واعتقد موسى أن الجريمة التي طوع له التعصب اقترافها « جريمة كاملة » ارتكبها مستوفيا وسائل المحاذرة والتحوط ثم تخلص من جسم الجريمة فلم تبقى ثم ثغرة تقضى إلى مؤاخذته بها ، واطمأن إلى أن الدم المصرى الزكى الذى خضب يديه قد طل وعنى النسيان على مصرع صاحبه ، فخرج في اليوم التالى يحوس مختالا خلال بنى جلدته فوجد اثنين منهما يشتجران فانتصر لاحدهما على صاحبه ، فصاح به الآخر : « من جعلك رئيساً وقاضياً علينا . أمفتكر أنت بقتلى كما قتلت المصرى . تخاف موسى » .

خروج ١٤ : ٢

ولما استشعر ما هو فيه من حرج مركزه بادر بالفرار ومغادرة الديار ، ولم يزل يستحث الخطى حتى بلغ أرض مدين حيث دخل في أسرة كاهنها شيخ العرب رعوثيل .

« فلما أتين إلى رعوثيل أبين قال ما بالسكن اسرعتن في المجيء »

خروج ١٨ : ٢

اليوم

وكان يضرب في تلك الفياض متوكئا على مخجته (١) متأملا في مستقبله المضاع مفكراً في أبناء قبيلته الذين واجه هذا المصير من أجلهم والذين أمسى يراهم في أحلامه يكدحون ويثنون بما هم فيه مسخرون . وقد كان أولئك البدو الذين أوى إليهم هم أيضاً أبناء لأبرام (٢) فطفقوا يقصون عليه أساطير الأيام الغابرة ويحدثونه حديث مشايخهم السكار الذين ثوت جشتم في كنعان ، وبدلون إليه بأنباء الإله الذي كان يعبد أبوه ، فارتد الرجل إلى عقيدة الصحراء .

وكان لتلك الاصقاع فيه أثر كأثر السحر ، ففيها تل يدعى « جبل الله » كان العرب يحجونه ويحملون عنده نعالمهم ، وفيها جبال حسام شواحق شاخصة إلى السماء بقللها (٣) الجرانيتية تهور (٤) منها أجرف (٥) من الرمال والأحجار باعثة في الفضاء هزيماً كثيباً كأنه قصف مدافع يدوى من مكان قصي . ويسمع الصوت البشرى في ذلك الجو من أبعاد سحيقة وقد تضخم ورجع صدى له هدير وزئير .

== « ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه ... »

الأعراف ١٠٣

والملأ : الأشراف يملأون العين مهابة .

(١) المحجن والمحنة : العصا المنطقة الرأس كالصولجات . يقال حجن العود : عطفه .

(٢) فقد رزق أبرام من امرأته الجديدة قطورة أولاداً كانت أحدهم مديان كما هو مذكور في (تكوين ٢٥ : ١ - ٢) .

(٣) القلة : أعلى الرأس والسنام والجبل .

(٤) هار وانهار وتهور البناء ونحوه : تهدم .

(٥) الجرف (بالقص وبضمين) : ما تجرفه السيول وأكلته من الأرض ومنه

« فلان يبنى على جرف هار » .

وضرب موسى بطرفه من أعلى الجبل إلى ما يليه غرباً فوق بصره على البيداء التي تفصل بينه وبين كنعان موطن أسلافه فجعلها مناط أمله ، وأخذت تطأ على ذهنه أفكار جديدة وبدأ يرى في اليقظة أضغاث الأحلام وتراءى له شجيرات يكتنفها الدخان وينبعث منها اللهب وهي لا تحترق (١) ، وتقناهى إليه أصوات لا تصحبها أشكال . وخيل إليه مرة أنه سمع هائفاً يطلب إليه أن يخلع نعليه فتداخله الخوف ونج به الدهول وشروذ الفكر وطالت به الغيبوبة : لقد أصبح يرى صوراً وهمية ويتخيل أخيلة كواذب . وجملته القول إنه أصبح نبياً . وزينت له نفسه أن الإله الذي عثر هو عليه حديثاً ، إله أبرام وإسحق ويعقوب ، قد اصطفاه لتحرير قومه من طغيان سادتهم وإخراجهم من مصر كي يستولوا على أرض تفيض لبناً وعسلاً .

وبذلك تنتهى مرحلة هامة من حياة موسى ، مرحلة التخييلات والتوهيمات لتبدأ مرحلة تالية هي مرحلة الديماغوجية (٢) والسحر والشعوذة وهي الأشياء التي تصاحب ظهور كل دين .

(١) « وجاء إلى جبل الله حوريب . وظهر له ملاك الرب بلهب نار من وسط العليقة . فظفر وإذا العليقة تنوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق ... »

خروج ٣ : ١ - ٢

ويفسر بعضهم أحجية العليقة المشتعلة بأن يهوه كان في مبدأ أمره إلهاً للنار .

(٢) الديماغوج (Demagogue) هو زعيم القوغاء والمنصود بالديماغوج : القدرة على التأثير في الجماهير وتهيج الدماء .

ولج موسى في الاستفسار عن اسم إله وأخ عليه في الإفصاح عنه صراحة فأجاب إله طلبته .

« وقال الله أيضاً لموسى . هكذا تقول لبني إسرائيل . يهوه إله آبائكم ، إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلنى إليكم . هذا اسمى إلى الأبد ، وهكذا ذكرى إلى دور فدور . »

خروج ٣ : ١٥
« ثم كلم الله موسى وقال له أنا الرب . وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحق ويعقوب بأنى الإله القادر على كل شئ (١) وأما باسمى يهوه فلم أعرف عندهم » .
خروج ٦ : ٢ - ٣

واطمأن موسى إلى أن هذا الاسم الحركى لله الذى سيكشف عنه لبني جنسه سيقنعهم بأنه يمثل إلهاً حقيقياً وبأن هذا الإله رسم له أن يضى إلى مصر لينخرجه منها ويقودهم إلى فلسطين ودبر في نفسه أن يقول لهم إن أهيه هذا الذى غير اسمه فجعله يهوه هو إله إبراهيم وإسحق ويعقوب ، فإذا لم يكف ذلك لإقناعهم باتباعه فليلق في وهمهم أنه سيشخص بهم إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً فلا يلبشون أن تتحلب (٢) أفواهم وتن مقاومتهم فيسلموه مقادهم ، وعندئذ يبدأ الهجوم على مصر من داخلها .

الترجمان

كان موسى يعرف من نفسه العى والفهاة فهو أخرى ألا يتحدث

(١) وهو في العبرية إلهداى (Elshaddai) .
(٢) تحلب العرق : سال : تحلب فه : سال بالريق .

التنبؤ

كان على موسى أن يفرض زعامته على العبرانيين في مصر عندما يصل إليهم ، وأن يظفر منهم بالاعتراف بهذه الزعامة ، وذلك بأن ينهى إليهم ، هو الغريب عنهم ، أن إله آبائهم بعث به إليهم .

اسم الله

وكان يتوقع أن يسأله قومه عن اسم الإله الذى بعث به إليهم ، وقد جرى كبار رجال الدين في شق الأديان البدائية على إخفاء اسم إلههم سرّاً محجوباً عن عشيرتهم ، فإذا اقتضاهم الأمر أن يسيروا إليه عبروا عنه بكلمة مثل « لفظ الجلالة » .

« فقال موسى لله ها أنا آتى إلى بني إسرائيل وأقول لهم إله آبائكم أرسلنى إليكم ، فإذا قالوا لي ما اسمه . فهاذا أقول لهم . فقال الله لموسى أهيه الذى أهيه (١) . وقال هكذا تقول لبني إسرائيل : أهيه أرسلنى إليكم » .
خروج ٣ : ١٣ - ١٤

(١) أى « أنا الذى أنا » . وفي كتاب الفرس المقدس أن أمورا مزدا قال لزرادشت « أنا الذى هو أنا » وفي كتاب اللوق المقدس عند قدماء المصريين كانت يرمز إلى الحياة بكلمة « عنخ » أى ذاك الذى يعيش . وقد يكون لهذا الاسم العبراني صلة بقولهم .

« قال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم . قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن » .

إلى أحد من عامة الناس فضلاً عن أن يخطب في جموع الشعب ويوجه النذر الهادرة إلى فرعون العظيم . وقد رأى موسى أن يراجع يهوه في ذلك .

« غمى غضب الرب على موسى وقال أليس هرون اللاوى أخاك . أنا أعلم أنه هو يتكلم وأيضاً هاهو خارج لاستقبالك ، حينما يراك يفرح بقلبه . فتكلمه وتضع السكيات في فمه . وأنا أكون مع فك ومع فمه وأعللكما ماذا تصنعان . وهو يكلم الشعب عنك . وهو يكون لك فما وأنت تكون له إلهاً . وتأخذ في يدك هذه العصا التي تصنع بها الآيات . »

خروج ١٤ : ٤ — ١٧

ودعك من هذه التعبيرات المفجة « تضع السكيات في فمه » « أنا أكون مع فك ومع فمه » « أنت تكون له إلهاً » ، التي تبين لنا أن يهوه كان يشكو من العمى في التعبير ما شكاه موسى ، وتعال تر من أين نجم هرون هذا ؟ إن كاتب القصة لم يذكر لنا إلى الآن طرفاً من أمره ، وقد عهدنا موسى منبت الصلة بأهله منذ فضاله (١) . وها هو ذا الآن قد بلغ الثمانين من عمره .

إن الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمى إلى ترجمان وهي إذا كانت قد أحوجت سمع زهير بن أبي سلمى إلى ترجمان فقد أحوجت لسان موسى إلى ترجمان . الخطيب هين . فليظهر الترجمان

(١) فصل المولود عن الرضاع : فطمه . انفصال : فطام المولود ، ومنه « وحله وفصاله ثلاثون شهراً » . الأحفاف ١٤

والهم يهوه هرون أن يخف إلى لقاء أخيه في جبل حوريب بشبه جزيرة سيناء ، وباله من مكان يسهل فيه اللقاء . « فذهب والتقاء في جبل الله وقبله ،

خروج ٢٧ : ٤

« وقد موسى هناك بعد أن آذنه يهوه بأن جريمته في مصر قد سقطت بمضى المدة . « مات جميع الذين كانوا يطلبون نفسك . »

خروج ١٩ : ٤

الشعوز

« وكنتم نبي الله موسى من حميه نبي الله يثرون خبيثة أمره وعلة سفره بل كذب عليه (١) قائلاً : « أنا أذهب وأرجع إلى إخوتي الذين في مصر لأرى هل هم بعد أحياء . »

خروج ١٨ : ٤

« فأخذ موسى امرأته وبنيه وأركبهم على الحمير (١) ورجع إلى أرض مصر . وأخذ موسى عصا الله في يده . »

خروج ٢٠ : ٤

« كان موسى قد حذق في مصر أفانين السحر وملك من أعتته ما يكفل

(١) لقد أركبهم جميعاً على حمار واحد كما هو واضح في الترجمة الانجليزية (upon an ass) .

له أن يسترعى انتباه قومه له ويحذّبهم نحوه ويلقّمهم حوله . وروى أن يجرب ألعبيه أمام شيوخ القبيلة ورؤساء البيوتات قبل أن يجازف بعرضها على فرعون .

« ثم مضى موسى وهرون وجما جميع شيوخ بني إسرائيل . فتكلم هرون بجميع الكلام الذى كلم الرب موسى به وصنع الآيات أمام عيون الشعب فأمن به الشعب » .

خروج ٤ : ٢٩ - ٣٠

وحظى موسى وأخوه بالمشول بين يدى فرعون . وليس فرعون مصر بملك صغير كملوك الإسرائيليين والفلسطينيين من لا تزيد مملكته كل منهم على رقعة محدودة السعة كالتى يحكمها أحد العمد ، فى ريف مصر هذه الأيام . وعهد النديان الشقيقتان إلى الكذب على فرعون فرعما أنها يلتسمسان المضى بالعبريين فى البرية ٣ أيام ليندبحوا الاضاحى لإلههم القوى .

« فالآن نمضى ثلثة أيام فى البرية ونذبح للرب إلهنا » .

خروج ٣ : ١٨

وذلك على حين أنهما كانا قد بيتا النية على أن يفصلا بهم عن مصر إلى غير رجعة .

ولم يكن الإسرائيليان الشقيقتان بمعنيين أن يحقا الحق ويذهبا الباطل بل كان أكبر مهمما أن يجلوا للعيون ما يحدثان من فنون الشعوذة وانبرى موسى بيدى بين يدى فرعون ما كان أعده من صنوف التعاجيب ، فجعل عصاه تستحيل حية ثم أعادها سيرتها

الاولى (١) فلم تبهر اللعبة فرعون لأنها لم تكن بدعا .

« فدعا فرعون أيضا الحسك والسحرة . ففعل غرافو مصر أيضا بسحرهم كذلك . طرحوا كل واحد عصاه فصارت العصى ثعابين »

خروج ٧ : ١١ - ١٢

ولكن كيف تسنى لهم ذلك ؟ إن كاتب السفر لا يحددنا فى أمر خدعة بل هو يذكر فى صراحة أن العرافين والسحرة بعثوا الحياة فى العصا فإذا هى حية تسعى ، فهل تم لهم ذلك بمعونة الله أو بمعونة الشيطان ؟ فإذا كان الله هو صاحب الفضل فى ذلك فلم انتهك جل جلاله قوانين الطبيعة هذا الانتهاك الخطير مرضاة لفرعون وسحرته ؟ وإذا كان الشيطان هو الذى سننى لهم ذلك ، فهل فى طوق الشيطان أن يخلق الحياة ويبعثها فى غير الحى ويحبو الجناد بالروح ؟

وعرض موسى لعبتين أخريين هما تحويل الماء وركوب البلاد بحففل من الضفادع ، فنهض سحرة مصر أيضا بمثل ذلك ولكن موسى

(١) وهذا يذكرنا بما صنعه موسى بعصا أخيه هرون إذ وضعها بين عصى رؤساء الأسباط أمام الرب أى أمام الصنم الحجرى الثاوى فى خيمة الشهادة ، فازدهرت وأورقت .

« وفى الند دخل موسى إلى خيمة الشهادة وإذا عصا هرون لبيت لاوى قد أفرخت . أخرجت فروخا وأزهرت زهرا وأضجت لوزا » .

عدد ١٧ : ٨

وبذلك أغم موسى منافسى شقيقه وبين لرؤساء الشعب أن الله اختار هرون وحده من بينهم ليفرد هو وأولاده وحفدته من بعده إلى أبد الأبدى بأعمال الكهانة وما تفيقه من كسب .

وفى أساطير الرومان أن رومولوس (مؤسس روما) أطلق رجه فى الهواء فضى يونا شامعا ثم سقط على تل الأثنين حيث استحال شجرة مورقة .

كان أرسخ منهم قدما في هذه الفنون ، وكان قد أعد في جمعبته الأعياب
أخرى لا يعرفونها فلم يستطيعوا مباراته فيها .

ومن الواضح أن براعة موسى في تحويل الأشياء الكريمة أشياء
خسيسة ثم إعادتها إلى ما كانت عليه ، إن دلت على شيء فإنما تدل
على مهارته في هذا الضرب من السحر ولكنها لا تدل بحال
على أنه نبي لإسرائيل . وفي استطاعة المنوم المغناطيسى أن يوهم
امرءا ما أن .

« يده برصاء مثل الثلج »

خروج ٦ : ٤

ثم يوهمه بعد ذلك أنها .
« قد عادت مثل جسده »

خروج ٧ : ٤

وفي استطاعة اللعابين أن يخرجوا من قلائسهم أرائب فلا يدل
ذلك على أن في مقدور أى منهم أن يحيى الموتى وإنما يدل على طول
بأعهم في بعض فنون المخاتلة عن النفس والتغير بالناس .

لوان الإسرائيليين الشقيين قالوا لفرعون قولا ليئا وعملا من بادىء
الامر على إقناعه بصدق رسالتهم لكان من الممكن أن تنتهى المشكلة
بسلام ، ولو أنهما أردياه قتيل بادىء بدء لمبلغت القصة ختامها دون
ما إطالة أو تمطيط بيد أنهما كانا يرغبان في الإفاضة والإسهاب ليسفر
ذلك عن مأساة بالغة البشاعة تشلج صدور الإسرائيليين ، ومن ثم عمد
يهوه إلى تقسية قلب فرعون وإكسابه غلظا .

« ولكنى أشدد قلبه حتى لا يطلق الشعب » .

خروج ٢١ : ٤

خروج ٢٧ : ١٠

خروج ٣ : ٧

خروج ٢ - ١ : ١٠

خروج ٤ : ١٤

« وها أنا أشدد قلوب المصريين حتى يدخلوا وراهم . فأتمجد
بفرعون وكل جيشه بمركباته وفرسانه فيعرف المصريون أنى أنا الرب
حين أتمجد بفرعون ومركباته وفرسانه » .

خروج ١٤ : ١٧ - ١٨

ولما قسى يهوه قلب فرعون ليتيح لنفسه فرصة البطش بالمصريين ،
فهو يمنهم بالوباء تلو الوباء ، حتى إذا مارضى فرعون أن يطلق اليهود
طلب موسى مطلباً جديداً لم يكن فيما احتواه ملتصقه الأول ، فأصر
على أن .

« تذهب مواشينا أيضاً معنا . لا يبقى ظلف »

خروج ٢٦ : ١٠

ولا يملك فرعون إلا أن يبدي امتعاضه من المطلب الجديد فتهياً
فرصة جديدة ليهوه كي يبطش بالمصريين .

الناس وعلى البهائم . كل تراب الأرض صار بعوضا في جميع أرض مصر » .
خروج ٨ : ١٧

يبد أن القوم لم يبعضوا (١) بل قُلت (٢) رؤوسهم وتقشى القمل مواشيهم على غير المهود .

٤ - ضربة الذباب

« فدخلت ذبان كثيرة إلى بيت فرعون وبيوت عبيده وفي كل أرض مصر خربت الأرض من الذبان » .

خروج ٨ : ٢٤

وذلك باستثناء المنطقة الإسرائيلية في أرض جاسان شرقي فرع دمياط .

٥ - وباء المواشي

« فها يد الرب تكون على مواشيك التي في الحقل ، على الخيل والحير والجمال والبقر والغنم وباء ثقیل جدا » .

خروج ٩ : ٣

(١) بعض القوم (بالبناء للمجهول) : آذاهم البعوض .

(٢) قل البدن : تولد فيه القمل .

والترجمة الانجليزية للآية الآتية الذكر هي :

(and it became lice to man and in beast,)

ومنها يتضح أن الذي ركب الناس والبهائم لم يكن بعوضا بل كان قلا .

وقد استعمل القرآن في هذا الموضع كلمة قل . ومن المعلوم أن القرآن كتب في عهد الخليفة عثمان خنوا من علامات الضبط ثم استحدثت العرب هذه العلامات فضبطت هذه السكاة بضم القاف وتشديد الميم مفتوحة ، وقد يكون المراد بالقمل القمل أو حشرة أخرى كالهابوش الذي يكثر على ضفاف النيل في موسم الفيضان . وهذا ما سهل لترجي التوراة إلى العريضة أن يستبدلوا بكلمة القمل كلمة البعوض . والبعوض أقل استئثارا للاشمئزاز من القمل .

الضربات الموسوية العشر

أهوى يهوه وكليمه موسى إلى المصريين بهذه الضربات الموجعة .

١ - ضربة الدم

« ففعل هكذا موسى وهرون كما أمر الرب . رفع العصا وضرب الماء الذي في النهر أمام عيني فرعون وأمام عيون عبيده فتحول كل الماء الذي في النهر دما . ومات السمك الذي في النهر وأنتن النهر فلم يقدر المصريون أن يشربوا ماء من النهر . وكان الدم في كل أرض مصر . وفعل عرافو مصر كذلك بسحرهم . فاشتد قلب فرعون فلم يسمع لها كما تكلم الرب . . . وحفر جميع المصريين حوالى النهر لاجل ماء ليشربوا لأنهم لم يقدرُوا أن يشربوا ماء النهر » .

خروج ٧ : ٢٠ - ٢٤

٢ - ضربة الضفادع

« فقال الرب لموسى قل لهرون مد يدك بعصاك على الأنهار والسواقي والآجام وأصعد الضفادع على أرض مصر . . . وفعل كذلك العرافون بسحرهم وأصعدوا الضفادع على أرض مصر »

خروج ٨ : ٥ - ٧

٣ - ضربة القمل

« مد هرون يده بعصاه وضرب تراب الأرض فصار البعوض على »

ههنا تهدد موسى مصر تهديداً خطيراً بحرب الجرائم التي حرمها اتفاق جنيف لبشاعتها ومنافاتها للإنسانية، حتى لقد عف عنها السفاحان الفاشيان هتلر وموسوليني .

« فمات جميع مواشى المصريين وأما مواشى بنى إسرائيل فلم يموت منها واحد . »

خروج ٦ : ٩

ونفقت جميع الخيل والحمر والجمال والبقر والغنم في مصر مع أن هذه الحيوانات لم يكن لها ذنب في الاضطهاد الذي كان يسامه العبرانيون بل لقد كانت هي أيضاً تسام من السخرة أضعاف ما يسامون .

رى المتمردون الآن في بث الاوبئة وقتل الماشية دليلاً على شذوذ عقلي وانحراف ذهني ، أما يهوه فقد وجد فيها الطريقة المثلى لإظهار عظمته .

لكن تعرف أن ليس مثلي في كل الأرض . »

خروج ٩ - ١٥

ويبدو أن يهوه نسي أن المقصود بهذه الضربات هو تحرير شعبه المختار فانقلبت عنده الوسيلة غرضاً وأصبح التخريب مطلباً مقصوداً لذاته .

٦ - « فأخذوا رماد الاتون ووقفوا أمام فرعون وذراه موسى نحو السماء فصار دما ممل بشور طالعة في الناس وفي البهائم . »

خروج ٩ : ١٠

وهكذا قدر على تلك البهائم أن تصاب بالبشور بعد أن نفقت جميعاً في الرباء الذي ابتلاها به موسى في الضربة الخامسة .

٧ - ضربة البرد

« فكان برد ونار متواصلة في وسط البرد . شيء عظيم جداً لم يكن مثله في كل أرض مصر منذ صارت أمة فغضب البرد في كل أرض مصر جميع ما في الحقل من الناس والبهائم . ضرب البرد جميع عشب الحقل وكسر جميع شجر الحقل . إلا أرض جاسان حيث كان بنو إسرائيل فلم يكن فيها برد . »

خروج ٩ : ٢٤ - ٢٦

باللهائم المسكينة . لأنها تقتل هنا مرة أخرى لإرواء لحقد يهوه هوشفاء لسخيمته . لقد أهلك الزرع والضرع جميعاً في هذه الضربة ولم يبق لغذاء الأهلين منهما شيئاً . وماذا عسى أن تكون قد أكلت تلك الحيوانات التي سللت من المذبحة لتهلك في ضربة تالية .

٨ - ضربة الجراد

« فصعد الجراد على كل أرض مصر . وحل في جميع تخوم مصر . شيء ثقيل جداً لم يكن قبله جراد هكذا مثله ولا يكون بعده كذلك . وغطى وجه كل الأرض حتى أظلمت الأرض . وأكل جميع عشب الأرض وجميع ثمر الشجر الذي تركه البرد حتى لم يبق شيء أخضر في الشجر ولا في عشب الحقل في كل أرض مصر »

خروج ١٠ : ١٤ - ١٥

وهل أبقى البرد في الحقول شيئاً أخضر للجراد بعدما ضرب جميع العشب وكسر جميع شجر الحقل ؟

٩ - ضربة الاظلام

« ثم قال الرب لموسى ، مد يدك نحو السماء ليكون ظلام على أرض مصر حتى يلبس الظلام . فمد موسى يده نحو السماء فكان ظلام دامس في كل أرض مصر ثلاثة أيام لم يبصر أحد أخاه ولا قام أحد من مكانه ثلاثة أيام . ولكن جميع بنى إسرائيل كان لهم نور في مساكنهم » (١)
خروج ١٠ : ٢١ - ٢٣

لقد كان يهوه دائماً عدواً للنور ، ومن ثم لم يهجم بمخاطره أن يدع للمصريين بصيصاً منه يسرون على هدية ولو إلى الخلاء لقضاء الحاجة . وقد كان في استطاع موسى أن يفتن بحلول هذا الظلام الخندس (٢) فينصرف بنى إسرائيل إلى حيث شاء ، ولكنه لو فعل ذلك لفوت على إلهه الغشوم فرصة توجيه الضربة العاشرة إلى أجدادنا المصريين ، وهى تمتاز من الضربات السابقة بأنها مأساة حقيقية لا هزل فيها .

١٠ - مجزة الأبقار

« فدعا موسى جميع شيوخ إسرائيل وقال لهم . اسحبوا وخذوا لكم غنماً بحسب عشائركم واذبحوا الفصح وخذوا باقة زوفا وأغمسوها

(١) قيل إنه بدا لراهب من رهبان القرون الوسطى أن يتخذ من هذه القصة وسيلة للتأثير في السذج فكان يعرض عليهم قارورة ملأى بمسحوق أسود ويقول لهم إن ما في القارورة هو بقية من ذلك الظلام المحسم الذى عم أرجاء مصر فى أيام موسى .

(٢) الخندس : الليل الشديد الظلمة ، ومنه الحديث «وفى ليلة ظلماء خندس ...» و - الظلمة ، ومنه الحديث «وقام الليل فى خندسه» . ويقال أسود خندس : شديد السواد كأسود حالاك .

فى الدم الذى فى الطست ومسوا العتبة العليا والقائمتين بالدم الذى فى الطست . وأنتم لا تخرج أحد من باب خيمته حتى الصباح . فإن الرب يجتاز ليضرب المصريين فحين يرى الدم على العتبة العليا والقائمتين يعبر الرب عن الباب ولا يدع المهلك يدخل بيوتكم ليضرب » .
خروج ١٢ : ٢١ - ٢٣

ولم كان ذلك الغت ؟ ألم يكن فى استطاعة يهوه أن يميز بين بيوت اليهود وبيوت المصريين دون علامة كما فعل فى ضرباته السابقة ؟ ولم كان من المحتوم أن تكون تلك العلامة دموية ؟ وكيف تسقى لموسى أن يبلغ اليهود - وهم قرابة ثلاثة ملايين - هذه الأوامر الخطيرة التى يفضى الخطأ فيها إلى إبادة أبقار اليهود أنفسهم ؟

إن دم الشياه إنما هو قربان ليهوه وبدل من الاضحيات البشرية ظلت كان تقرئها للالهة شائعاً بين البدائين فى غابر الزمان .

ولا يزال اليهود إلى اليوم يحتفلون لذكرى تلك المذبحة امتثالاً لأمر يهوه .

« ويكون لكم هذا اليوم تذكارا فتعيدونه عيدا للرب . فى أجيالكم تعيدونه فريضة أبدية » .

خروج ١٢ : ١٤

ألا ما أشنع أن يتخذ الناس أيام المذابح أعيادا قومية .

والآن ، فلندع التوراة تدلى الينا بتفصيل الجناية الفظيعة التى جناها الإسرائيليون على المصريين .

« فحدث فى نصف الليل أن الرب ضرب كل بكر فى أرض مصر

من بكر فرعون الجالس على كرسيه إلى بكر الأسير الذى فى السجن
وكل بكر بهيمة . فقام فرعون ليلا هو وكل عبيده وجميع المصريين .
وكان صراخ عظيم فى مصر لأنه لم يكن يدت ليس فيه ميت » .

خروج ١٢ : ٢٩ - ٣٠

يا له من مشهد فاجع اغتبط له بنو إسرائيل فأنشدوه أغنية
يتزمنون بها .

« أحمدا رب الأرباب لأن إلى الأبد رحمته ... الذى ضرب
مصر مع أبكارها (١) لأن إلى الأبد رحمته » .

مزمور ١٣٦ : ٣ - ١٠

ما الذى جناه أبناء الشعب المصرى حتى يتنلوا بهذه المنة التى ليس
لها منتهى ثم تذبح أبكارهم جميعاً فى تلك الليلة الشؤمى؟ بم أساء «الأسير

(١) ولا غرو أن يقتل يهوه أبكار الشعب المصرى الذى يكن هو له الحقد
والحسد وهو الذى لم يعف عن أبكار شعبه المختار ، فأوجب على كل أب نذر ابنه
له فى ساعة طيش أن يلقيه دونما رحمة فى الأتون المشتل الذى لا يفتأ يصيح هل
من مزيد .

« كل محرم يحرم من الناس لا يفدى . يقتل قتلا » .

لاويون ٢٧ : ٢٩

لقد روى الأرض بدماء الأبقار قرونا طويلة ثم جاء آخر الأمر يعترف بأنه قد
فعل ذلك سخريه بشعبه المختار وأنه لم يكن جادا فيما فرضه عليهم .

« وأعطيتهم أيضا فرائض غير صالحة وأحكاما لا يحبون بها : ونجستهم بعبادتهم
لإذ أجازوا فى النار كل فاتح رحم لأبيدهم حتى يعلموا أنى أنا الرب » .

حزقيال ٢٠ : ٢٥

هو دائما السبب نفسه : ليعلموا أنه هو الرب .

الذى فى السجن ، إلى يهوه ؟ بل ما ذنب فرعون نفسه ويهوه هو الذى
أودع قلبه الغلظة والقساوة ؟

وهذه البهائم المسكينة بأى ذنب قتلت ؟ إن كاتب القصة رجل
سادى (١) يلند تعذيبها وقتلها فى كل ضربة . لقد أماتها فى الضربة
الخامسة ثم أثنى فيها قتلا بالبرد فى الضربة السابعة ، ثم اصطم الأبقار
حنها فى الضربة العاشرة ، وها هو ذا قد ادخر لها ضربة أخرى .

فقد أطلق فرعون وشعب إسرائيل ولكن يهوه لم يطلق فرعون ،
ذلك أن الضربات العشر لم ترو ظمأه إلى الدماء وما يزال فى وسعه أن
يصك الشعب المصرى قبل أن يعبر تخومه ويفارقه إلى غير رجعة ،
بضربة حادية عشرة ، ولهذا وسوس إلى فرعون أن يتعقب موسى
وأوحى إلى موسى أن يتسكأ فى فراره حتى يوشك فرعون أن يدركه .

« وكلم الرب موسى قائلا : كلم بنى إسرائيل أن يرجعوا وينزلوا
أمام فم الخيوط بين مجدل والبحر أمام بعسل صفون . مقابله تنزلون
عند البحر . فيقول فرعون عن بنى إسرائيل هم مرتبكون فى الأرض
قد استغلق عليهم القفر وأشدد قلب فرعون حتى يسعى وراءهم فأتجمد
بفرعون وبجميع جيشه » (٢) .

خروج ١٤ : ١ - ٤

(١) نسب إلى الماركيز الفرنسى ده ساد أنه كان يلند تعذيب عشيقاته ، ويستهو به
أن يقتل الحيوان ليستمتع بمشاهدته وهو يعانى آلام النزع .

(٢) وهذا يناقض ما ذكره هذا السفر قبل ذلك من أن يهوه مال بنى إسرائيل
نحو الجنوب ولم يزحف بهم قدما صوب كنعان حتى لا يصطدموا هناك بجحافل
الفلسطينيين فارتدوا إلى مصر مهطعين .

وقد غلظ قلب فرعون حقاً امثالاً لمشيئة يهوه .

« فشد مركبته وأخذ قومه معه . وأخذ ست مئة مركبة منتخبة
وسائر مركبات مصر وجنوداً مركبية على جميعها . وشدد الرب قلب
فرعون ملك مصر حتى سعى وراء بني إسرائيل ،

خروج ١٤ : ٦ - ٨

وأنى لفرعون الخيل وقد نفق جميع ما كان في مصر منها ؟

ورأى مقاتلة اليهود وعددهم ٦٠٠,٠٠٠ شاكو السلاح جيش
فرعون وقد نهكته الضربات العشر ففرعوا وجزعوا وأخذوا يولولون
ويصوتون، ورأوا أن يهوه قد اشتط في تقسية قلب فرعون وخالفهم الشك
في أنهم سيفلحون في الخروج من مصر وكذلك في أن هذا الخروج
سيجدي عليهم فقالوا لموسى .

« كف عنا فنخدم المصريين . لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من
أن نموت في البرية (١) » .

خروج ١٤ : ١٢

« لأن الله قال لثلاثين الشعب إذا رأوا حرباً ويرجعوا إلى مصر فأدار الله
الشعب في طريق بركة بحر سوف . . . وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود
سحاب ليهديهم في الطريق وليلا في عمود نار ليضيء لهم . لكي يشوا نهاراً وليلاً »

خروج ١٣ : ١٧ - ٢١

(١) وهذا يخالف ما ذكرته القصة قبل ذلك من أن بني إسرائيل ظنوا أن
مصر مرفوعة الرأس شاخى الأنوف .

« وبني إسرائيل خارجون بيد رفيعة » .

خروج ١٤ : ٨

فأخذ موسى يهدى من روعهم ويسرى عن قلوبهم وجعل يطمئنه
مؤكداً لهم أن .

« الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون (١) » .

خروج ١٤ : ١٤

وأدار موسى عصاه في الهواء فانشق الماء (٢) وهبط لإسرائيل في
منحدر عميق .

« فدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة والماء سور لهم
عن يمينهم وعن يسارهم وتبعهم المصريون ودخلوا وراءهم ،

خروج ١٤ : ٢٢ - ٢٣

ولم يبد المصريون شيئاً من الدهش وهم يسرون على قعر البحر بين

(١) في القرائات أن قوم موسى هم الذين اقترحوا عليه هذا المقترح .

« قالوا يا موسى لئلا ندخلها أبداً ما داموا فيها فذهب أنت وربك فقاتلا
لأنا ههنا قاعدون » .

المائدة ٢٤

(٢) وفي رواية أن انشقاق الماء كان لهبوب الريح .

« فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة
وانشق الماء » .

خروج ١٤ : ٢١

وتم قصص مماثلة .

فقد عبر الماء على هذا النحو الأسكندر وجيشه ، وبخوس وجيشه ، ولينزيس ،
وكرشنا .

وكذلك عبر يشوع بن نون نهر الأردن مقابل أريحا، وعبره إليشع بعد أن ضرب
مائه برداء إيليا .

ومشى يسوع فوق صفحة الماء .

جدارين شاهقين من الماء ، ولم يسترع الامر انتباههم^(١) فتبعوا المصريين .

وخارب يهوه بنفسه واضطلع بالجانب الميكانيكي من الحملة .

« وكان في هزيع الصباح أن أشرف على عسكر المصريين في عمود النار والسحاب وأزعج عسكر المصريين وخلع بكر مركباتهم حتى ساقوها بثقله . فقال المصريون نهرب من إسرائيل لأن الرب يقاتل المصريين عنهم » .

خروج ١٤ : ٢٤ - ٢٥

وأطبق البحر على الفرسان المصريين فغرقوا عن بكرة أبيهم وملك السرور على الإسرائيليين أنفسهم .

« حينئذ رنم موسى^(٢) وبني إسرائيل هذه التسيبحة للرب وقالوا . أرنم للرب فإنه قد تعظم . الفرس وراكبه طرحهما في البحر . . . »

(١) فليس في قصص الكتاب المقدس أحد يدهش لشيء .

غواء لم يدهش حين كلمها الحية في جنة عدن باللغة العبرية الفصحى .

وبلغام لم يدهش حين كلمه الأنان باللهجة الموآبية الفصحى .

وجنود يشوع لم يدهشوا عندما سقط سور أريحا استجابة لنفخ الكهنة في السور .

(٢) وفي رواية أخرى أن التي استخفها الطرب فترنمت بهذه الأنشودة إنما هي مريم ابنة عمران (عمران) أخت هرون وموسى .

« فأخذت مريم النبية أخت هرون الدف بيدها وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص . وإجابتهن مريم . رنموا للرب فإنه قد تعظم . الفرس وراكبه طرحهما في البحر » .

خروج ١٥ : ٢٠ - ٢١

الرب رجل الحرب . الرب اسمه . . . بريح أنفك تراكمت المياه . نفخت بريحك فغطاهم البحر . غاصوا كالرصاص . . . من مثلك بين الآلهة يارب » .

خروج ١٥ : ١ - ٩

وهذا النشيد — في أغلب الظن — لم يوضع إلا بعد عبور البحر (أو البر)^(١) بزمن مديد ، إذ هو يتحدث عن فتح كنعان على أنه شيء قد وقع حقا .

« ترشد برأفتك الشعب الذي فديته . تهديه بقوتك إلى مسكن قدسك . يسمع الشعوب فيرتعدون . تأخذ الرعدة سكان فلسطين . حينئذ يندهش أمراء أدوم . أقوياء موآب تأخذهم الرجفة . يذوب جميع سكان كنعان »

خروج ١٥ : ١٣ - ١٥

هذا ، ويلاحظ أن هاتين الحادثتين ذواتي الطابع الرومانسي اللتين أريد بهما لإظهار مدى حب يهوه لشعبه المختار ، الاوهما عبور اليهود للبحر وغرق المصريين فيه ، لم يقتصر أمرهما على أنه لم يرد لهما ذكر فيما دونه المصريون من متون تاريخية ، بل لإنهما كذلك كانتا مجهولتين من الرعييل الأول من أنبياء بني إسرائيل ، وذلك دليل أنهما لفتتا في زمن تال .

(١) تناول أحدهم هذا الموضوع بالبحث فقال إن البحر الأحمر ينتابه مد وجزر شديدان فجائبان ، وقد يكون من المستطاع الخوض فيه شمال مدينة السويس ، وحس أن خصائص هذا المكان هي التي كانت مرجع الإلهام لواقع القصة .

أملهم في دخول الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً ، ويدت ييته أن يميتهم
في ذلك المهمة القفر .

لقد كانوا نحو ٣ ملايين فإذا ساروا في صفوف متراسة ينتظم كل
حنا ٢٠ امرأة ويشغل كل صف متراً واحداً بلغ طول القافلة ١٥٠
كيلو متراً ، وبما أنهم فصلوا جميعاً عن مصر في ليلة واحدة أى خلال
٧ ساعات أو ثمانى ساعات فلا بد أنهم كانوا يسرون دون توقف
بسرعة ٢٠ كيلو متراً في الساعة وإنها لسرعة تخرج عن طوق البشر .

ولنا أن نسائل أنفسنا كيف كان موسى يتحدث إليهم جميعاً عند
باب خيمة الاجتماع وهي لا يزيد عرضها على ٥ أمتار ولم يكن ثم مذبح؟
« وكلم الرب موسى قائلاً . خذ هرون وبنيه معه والثياب ودهن
المسحة وثور الخيطية والكبشين وسل الفطير واجمع كل الجماعة إلى
باب خيمة الاجتماع » .

لاويون ٨ : ١ - ٢

لأرب أنه كان يتمتع برئتين قويتين وصوت جهير يسمع على
مبعده عشرات الكيلومترات .

وكيف تسنى لهم أن يحملوا من الكساء ما يقوم بحاجتهم ٤٠ عاماً؟
هل كانت الملائكة تعمل طوال تلك الأعوام في رفق ما يتفق من
أهدامهم (١) وفي خصف (٢) ما ينقب (٣) من نعالهم .

(١) الهدم : الثوب البالي ، يقال عليه هدم وأهدام أى ثياب أخلاق .

(٢) خصف النعل : خرزها بالخصف .

(٣) نقب الخف الملبوس : تحرق .

اليهودى التائه

وما أنفك اليهودى التائه (١) يضرب في صحراء سيناء حتى قضى هو
والملايين الثلاثة الذين فصلوا معه عن مصر وأسلموه مقادهم ، دون أن
يرى منهم أرض الميعاد غير رجلين اثنين لا ثالث لهما . وقد كان
جديراً بهم ألا يضلوا الطريق وقد جعل يهوه من نفسه مرشداً لهم .

وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحب ليهديهم في
الطريق وليلاً في عمود نار ليضيء لهم لكي يمشوا نهاراً وليلاً .
لم يبرح عمود السحاب نهاراً وعمود النار ليلاً من أمام الشعب » .
خروج ١٣ : ٢٠ - ٢١

ويبدو من ذلك أنهم لم يكونوا يشعرون باللعب (٢) من المشى نهاراً
والسرى ليلاً وهم حاملين أثقالهم . ولنا أن نسائل أنفسنا : لم يرضهم
يهوه بهذا المشى النكسر (٣) إلى غير غاية وقد حزم رأيه ألا يبلغهم

(١) جاء في إحدى القصص الشعبية أن يهودياً ما هزأ بالرب يسوع وهو يسعى
إلى حيث يصاب ، وأبى أن ينقع بالماء غلته ، فباء بلعنة منه قضت عليه أن يظل
هائماً على وجهه في الأرض إلى أن يؤوب إليها يسوع بعد آلاف السنين يفرض عليها
حكمه وسلاطانه (وازن بين هذه الأسطورة وأسطورة المهدي المنتظر) .

(٢) لعب الرجل : تعب وأعبأ أشد الإعياء .

(٣) نكسر الأمر : صعب واشتد . أمر نكسر : شديد صعب .

« ثيابك لم تبل عليك ورجلك لم تتورم هذه الأربعين سنة ،

تثنية ٨ : ٤

تثنية ٢٩ : ٥

حسن ، ولكن ألم يكونوا يموصون^(١) ثيابهم؟ ذلك أمر لامناص منه وبخاصة فيما يتصل بثياب الأطفال . وإذا سلمنا — جدلاً — بأن ثيابهم لم تتلف واحتفظت بجودتها فكيف ظلت ثياب الأطفال الرضع صالحة لهم عندما أوغلوا في أطوار العمر ونمت منهم تبعاً لذلك الجسم ؟

وكيف كانت قطعان الماشية التي استصحبوها معهم تجد ما تأكله في تلك الأرض الجرداء التي لا تثبت غير طبقة رقيقة من السكلا إذا لم ترعه الصفوف الامامية من الماشية وطئته وصيرته غير صالح لطعام الصفوف الخلفية منها ؟

وأي كانت هذه الماشية عندما كان اليهود النازحون لا يجدون شيئاً يقتاتونه غير المن^(٢) وهو طعام تعافه النفس ؟

لم يأكل المهاجرون ما جلبوه معهم من مواشى مصر واغنامها ؟ هل نفقت ؟ هل نفذت ؟ ليس يبدو الامر كذلك ، فقد كتب عليهم لهم أن يظلوا يرعون مواشهم واغنامهم حتى يدخل أولادهم أرض الميعاد .

(١) ماس الثوب : غسل غسلا لينا رقيقا .

(٢) وقد أسمى المن في الزمور الثامن والسبعين بجوز الملائكة مما يفهم منه أنه يؤكل في الفردوس .

« فخشكم أنتم تسقط في هذا القفر وبنوكم يكونون رعاة في القفر أربعين سنة ،

عدد ١٤ : ٣٢ — ٢٣

لقد أجم^(١) للمقوم ذلك المن ذا الخواص العجيبة ، وقد كان .

« إذا حميت الشمس يذوب ،

خروج ١٦ : ٢

ولكنه لم يكن يذوب وهم يسلقونه ويعجنونه ويخبزونه، وكان لإسرائيليين منهم مهما أكثر من جمعه أو قلل منه يجد أنه جمع ما يلائم المسكيات المعروف عندهم بالعمر ملئاً تاماً لازيادة فيه ولا نقصان ، وذلك باستثناء أيام الجمع فقد كان يسقط بين أيديهم منه ما يكفيهم يومين ولا يسقط منه في أيام السبوت شيء ، وكانوا إذا أفضلوا إلى اليوم التالي شيئاً مما جمعه أوتن^(٢) ودود^(٣) .

(١) أجم الطعام وغيره : كرهه من المداومة عليه .

(٢) ويبدو أن هذه القاعدة قد نقضت مرة عندما تسلم يشوع مقاليد الأمور بعد موت موسى ، وقال للقوم : « هيثوا لأنفسكم زاداً لانكم بعد ثلاثة أيام تعبرون الأردن هذا لكي تدخلوا غتملكوا الأرض » .

يشوع ١ : ١١

(٣) المفروض أن الدود الذي يتحدثون عنه ليس دوداً حقيقياً بل هو يرقان الذباب وما إليه من حشرات .

وقد أمر موسى بصون مقدار من هذا الغذاء العجيب يدخر للأخلاف من ذراوى بني إسرائيل .

« واجعل فيه ملء العمر منا وضعه أمام الرب للحفاظ في أجيالكم » .

ولكنه فيما يبدو — ذاب فلم يوفق المنقبون في الأهتمام إليه .

وقد لبشوا طوال تجوالهم في سيناء يا كلون هذا الطعام المسيح (١)
الذى لا تتوافر فيه حاجتهم من العناصر الغذائية الضرورية للجسم
ولم يتخلصوا منه إلا بعد أن عبروا نهر الأردن فأصبحوا عبريين موطنين
بأرض الميعاد .

لقد دخلوا تلك البلاد بعد حرب عوان (٢) استأصلوا فيها شأفة
أهلها وأبادوا حيوانها وأحرقوا دورها وأخربوا ربوعها ،
ولسكنهم ما إن وضعت الحرب أوزارها حتى ألفوا الموائد حافلة بطعام
شهى غذى يقوم بثلاثة ملايين من الغزاة .

« وانقطع المن في الغد عند أكلهم من غلة الأرض » .

١١ الرقم ٧

تكرر استعمال الكتاب المقدس الرقم «٧» مفرداً أو مركباً (١٧)
أو معقوداً (٧٠) أو معطوفاً (٥٧) أو مشوياً (٧٠٠) أو مؤلفاً (٧٠٠٠)
و (٧٠٠٠٠) زهاء ٥٠٠ مرة .

فهو يقول في قصة الخلق .

« وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذى عمل . فاستراح في اليوم
السابع من جميع عمله الذى عمل . وبارك الله اليوم السابع وقدهس » .
تكوين ٢ : ٢-٣

ويقرر في كتاب مواليد آدم أن لآدم والد نوح عمر ٧٧٧ سنة
ويقول في قصة الطوفان .

« من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكراً وأنثى...
لأنى بعد سبعة أيام أمطر على الأرض أربعين يوماً وأربعين ليلة » .
تكوين ٧ : ٢-٤

« فلبث أيضاً سبعة أيام آخر وعاد فأرسل الحمامة من الفلك . فأنت
إليه الحمامة عند المساء وإذا ورقة زيتون خضراء في فمها . فعلم نوح أن
المياه قد قلت عن الأرض فلبث أيضاً سبعة أيام آخر وأرسل الحمامة
فلم تعد ترجع إليه أيضاً » .

تكوين ٨ : ١٠-١٢

(١) المسيح : الطعام الذى لا مآج فيه و - ما لا طعم له . والعامية تقول ماسخ .

(٢) الحرب العوان : التى قوتل فيها مرة بعد أخرى كأنهم جعلوا الأولى بكراً .

وفي قصة هجرة أبرام .

« وأقام إبراهيم سبع نعام من النعم وحدها . فقال أبيت لك لإبراهيم ما هي هذه السبع النعام التي أفتتها وحدها . فقال إنك سبع نعام تأخذ من يدى لى تكون لى شهادة بأنى حفرت هذه البئر . لذلك دعا ذلك الموضع بئر سبع . لأنهما هناك حلفا كلاهما . فقطعا ميثاقا فى بئر سبع .
تكوين ٢١ : ٢٨ - ٢٢

وفي قصة يعقوب

« أحب يعقوب راحيل فقال أخدمك سبع سنين راحيل ابنتك الصغرى . . . فخدم يعقوب راحيل سبع سنين . »

تكوين ٢٩ : ١٨ - ٢٠

وخدع الرجل ابن أخته يعقوب فجعله يعرس بابنته الكبرى الكليلا الطرف ليثة وهو يحسبها الابنة الصغرى راحيل التي شففته حبا فتجشم من أجلها عناء العمل طوال تلك السنين ، ويبدو أنه هو أيضاً كان كليلا الطرف يشكو العشاوة فلم يستتب الخدعة إلا ضحى الغد ، وعندئذ حل حموه المشكلة فى سهولة ويسر قائلا له :

« أكمل أسبوع هذه فتعطيك تلك أيضا بالخدمة التي تخدمنى أيضا سبع سنين آخر . »

تكوين ٢٩ : ٢٧

فدخل يعقوب على راحيل بعد أسبوع وغشيها ثم هرب بها ، فتعقبه لابلان .

« وسعى وراءه مسيرة سبعة أيام . »

تكوين ٣١ : ٢٣

واستدعى يوسف أباه يعقوب (إسرائيل) وإخوته (بنى إسرائيل) إلى مصر ليوطنوا بها ، فكانت :

« جميع نفوس بيت يعقوب التي جاءت إلى مصر سبعون ،

تكوين ٤٦ : ٢٧

ثم مات يعقوب وله من العمر ١٤٧ عاما و

« بكى عليه المصريون سبعين يوما ، »

تكوين ٥٠ : ٣

وكان تأويل يوسف للحلمين اللذين رآهما فرعون هو :

«البقرات السبع الحسنة هى سبع سنين والسنابل السبع الحسنة هى سبع سنين هو حلم واحد . والبقرات السبع الرقيقة القبيحة التي طلعت وراءها هى سبع سنين . والسنابل السبع القارغة المملوحة بالريح الشرقية تكون سبع سنين جوعا . . . هوذا سبع سنين قادمة شعبا عظيما فى كل أرض مصر . ثم تقوم بعدها سبع سنين جوعا ،

تكوين ٤١ : ٢٦ - ٣٠

وفي قصة موسى نرى أنه هاجر إلى مدين قنوز زوج إحدى بنات الكاهن .

« وكان لكاهن مديان سبع بنات ،

خروج ٢ : ١٦

وأنه فرض على بنى إسرائيل أن يصوموا سبعة أيام عن الخبز الذى استعملت الخيرة فى صنعه .

« سبعة أيام تأكلون فطيرا . اليوم الاول تعزلون الخير من بيوتكم .

هذان كل من أكل خيرا من اليوم الاول إلى اليوم السابع تقطع تلك النفس من إسرائيل ... سبعة أيام لا يوجد خير في بيوتكم

خروج ١٢ : ١٥ — ١٩

ثم صعد موسى وهرون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل . ورأوا إله إسرائيل ،

خروج ٢٤ : ٩ — ١٠

وعندما تظهر أعراض البرص على امرئ ويشبهه الكاهن في أن المرض الذى بين يديه هو برص حقيقى وليس مجرد بهق .

• يحجز الكاهن المضروب سبعة أيام . فإن رآه الكاهن في اليوم السابع وإذا في عينية الضربة قد وقفت ولم تمتد الضربة في الجلد يحجزه الكاهن سبعة أيام ثانية فإن رآه الكاهن في اليوم السابع ثانية وإذا الضربة كامدة ولم تمتد الضربة في الجلد يحكم الكاهن بطهارته ،

لاويون ١٣ : ١٤ — ٦

وعندما يلبس المرء قتيلا يصبح نجسا ويحق عليه التطهر .

• من مس ميتا ميتة لإنسان ما يكون نجسا سبعة أيام . يتطهر به في اليوم الثالث وفي اليوم السابع يكون طاهراً . وإن لم يتطهر في اليوم الثالث ففي اليوم السابع لا يكون طاهراً وكل من كان في الخيمة يكون نجسا سبعة أيام . وكل من مس على وجه الصحراء قتيلا بالسيف أو ميتا أو عظم لإنسان أو قبرا يكون نجسا سبعة أيام ... ينضح الكاهن على النجس في اليوم الثالث واليوم السابع ويطهره في اليوم السابع .

عدد ١٩ : ١١ — ١٩

وفي قصة الملك إكزرسيس وحظيته إستير .

• عمل الملك لجميع الشعب ... وليلة سبعة أيام ... في اليوم السابع قال له ... الخصييان السبعة ... أن يأتوا بوشق الملكة ... وكان المقربون اليه سبعة رؤساء فارس ومادى ،

استير ١ : ٥ — ١٤

وفي قصة بلعام بن بعور نبي المؤابيين الوثنيين وهو الشهير بلقان الحكيمة (بلع = لقم) قال بلعام للمليكة بالاق بن صفور .

• ... ابن لى ههنا سبعة مذابح وهى لى ههنا سبعة ثيران وسبعة كباش .

عدد ٢٣ : ١

عدد ٢٣ : ٩

وعندما عبر يشوع بن نون نهر الأردن إلى أرض الميعاد فتح مدينة أريحا بأن هدم سورها الحصين بطريقة فذة تفاعلت فيها القوى السحرية للرقم ٧ .

• وسبعة كهنة يحملون أبواق الهتاف السبعة أمام التابوت . وفي اليوم السابع تدورون دائرة المدينة سبع مرات والكهنة يضربون بالأبواق ... وليحمل سبعة كهنة سبعة أبواق هتاف أمام تابوت الرب ...

والسبعة الكهنة الحاملون أبواق الهتاف السبعة ... وكان في اليوم السابع أنهم بكرروا عند طلوع الفجر وداروا دائرة المدينة على هذه المتوال سبع مرات . في ذلك اليوم فقط داروا دائرة المدينة سبع مرات . وكان في المرة السابعة عندما ضرب الكهنة بالأبواق أن يشوع

قال اهتفوا . . . وكان حين سمع الشعب صوت البوق أن الشعب هتف هتافا عظيما فسقط السور في مكانه وصعد الشعب إلى المدينة . . . وحرّموا كل مافي المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والخير بجحد السيف .

يشوع ٦ : ٤ - ٢١

وفي قصة سليمان نجد أن بناء الهيكل استغرق ٧ سنوات ، وأنه زين التاج الذي على كل عمود من أعمدة الهيكل بسبع صفائر ثم جمع رجال إسرائيل في العيد وهو يقع في الشهر السابع ، وكان سليمان مزواجا له ٧٠٠ من الزوجات الحارث بله من عداهن من السراى .

وقام بنود ملك آرام ومعه ٢٢ مليكا بمحاصرة السامرة عاصمة ملكة إسرائيل وأرسل إلى آخاب ملكها يطلب إليه الاستسلام ، فتقدم إليه أحد الأنبياء وقال له إن الله يأمره بالحرب ، فأمر الملك أن يعدوا غلمان رؤساء المقاطعات .

« وعد بعدهم كل الشعب كل بنى إسرائيل سبعة آلاف . . . فنزل هؤلاء مقابل أولئك سبعة أيام في اليوم السابع اشتبكت الحرب » .
١ ملوك ٢٠ : ١٥ - ٢٩

« كان لآخاب سبعون ابنا في السامرة » .

٢ ملوك ١٠ : ١

وفي قصة أيوب طلب الرب محرقة ٧ ثيران و ٧ كباش ، وكان لا يوب ٧ بنين و ٧ بنات رأس من الماشية فشنخص إليه ليف من الناس وقعدوا معه على الأرض ٧ أيام و ٧ ليال . ونضيف إلى ذلك الآيات :

تكوين ٨ : ٤

» ٢٣ : ١

» ٥٠ : ٣

خروج ١٦ : ٢٧ - ٣٠

» ٢٤ : ١٦

» ٢٩ : ٢٩ - ٣٠

» ٣١ : ١٥

» ٣٤ : ١٨

لاويون ٨ : ٣٣ - ٣٥

» ١٢ : ١ - ٥

» ١٣ : ٢٦ - ٢٧

» ١٣ : ٣١ - ٣٤

» ١٣ : ٤٧ - ٥٤

» ١٤ : ٧ - ٩

» ١٥ : ١٣ - ٢٨

» ١٦ : ١٤ - ١٩

» ٢٣ : ١٥ - ١٨

» ٢٣ : ٢٣

» ٢٣ : ٢٣

» ٢٣ : ٣٩ - ٤٢

» ٢٥ : ٤

» ٢٥ : ٨ - ٩

٣ صموئيل ١٠ : ١٨	١٨ : ١٠
٩ : ٢١	٩ : ٢١
١٥ — ١٣ : ٢٤	١٥ — ١٣ : ٢٤
٣٨ : ٦ ملوك	٣٨ : ٦ ملوك
١٧ : ٧	١٧ : ٧
٢ : ٨	٢ : ٨
٣ : ١١	٣ : ١١
٤٤ — ٤٣ : ١٨	٤٤ — ٤٣ : ١٨
١٨ : ١٩	١٨ : ١٩
١٣ : ٢ أيوب	١٣ : ٢ أيوب
٢ : ٤٢	٢ : ٤٢
٨ : ٤٢	٨ : ٤٢

إن السفر الوحيد من أسفار العهد القديم الذي نفتقد فيه الرقم ٧ هو قشيد الانشاد ، وهو السفر الوحيد الذي أجمع علماء الكتاب المقدس رأيهم على أنه ليس عملاً عبرانياً .

ولا يخلو العهد الجديد من بعض التعالى في استعمال هذا الرقم الهام ، فإننا نجد — مثلاً — في رؤيا يوحنا اللاهوتي :

« يوحنا إلى السبع الكنائس التي في آسيا نعمه لكم وسلام من الكائن والذي كان والذي يأتي ومن السبعة الأرواح التي أمام عرشه ... ولما التفت رأيت سبع منابر من ذهب وفي وسط السبع المنابر شبه ابن الإنسان . ومعه في يده اليمنى سبعة كواكب ،

رؤيا ١ : ٤ — ٦

٢١ — ٢٠ : ٢٥	٢١ — ٢٠ : ٢٥
٢٩ — ٢٣ : ٢٦	٢٩ — ٢٣ : ٢٦
٢ — ١ : ٧ تثنيه	٢ — ١ : ٧ تثنيه
١٢ : ١٥	١٢ : ١٥
٩ — ١ : ١٦	٩ — ١ : ١٦
٩ : ٢ إستير	٩ : ٢ إستير
١٦ : ٢	١٦ : ٢
٣٥ : ٤ ملوك	٣٥ : ٤ ملوك
١٤ : ٥	١٤ : ٥
٣ — ١ : ٨	٣ — ١ : ٨
١ : ١٢	١ : ١٢
٩ : ١٨	٩ : ١٨
٤ — ٣ : ١٨ أخبار	٤ — ٣ : ١٨ أخبار
١٨ : ١٩	١٨ : ١٩
١٢ : ١٤ قضاء	١٢ : ١٤ قضاء
١٧ : ١٤	١٧ : ١٤
٨ — ٧ : ١٦	٨ — ٧ : ١٦
١٣ : ١٦	١٣ : ١٦
١٩ : ١٦	١٩ : ١٦
١٠ : ٦ صموئيل	١٠ : ٦ صموئيل
١٣ : ٣١	١٣ : ٣١
١١ : ٢ صموئيل	١١ : ٢ صموئيل

« ورأيت فإذا في وسط العرش والحيوانات الأربعة وفي وسط الشيوخ خروف قائم كأنه مذبح له سبعة قرون وسبع أعين هي سبعة أرواح الله المرسلة إلى كل الأرض ،

رؤيا ٥ : ٦

ولما فتح الختم السابع حدث سكوت في السماء نحو نصف ساعة . ورأيت السبعة الملائكة الذين يقفون أمام الله وقد أعطوا سبعة أبواق ،

رؤيا ٨ : ١ - ٢

وكذلك

رؤيا ١٠ : ٣ - ٤

١٢ : ٣

١٣ : ١

١٥ : ١

١٥ : ٦ - ٨

١٦ : ١

١٧ : ١

١٧ : ٧

وهلم جرا

لقد فشا الرقم ٧ في أساطير الأديان القديمة ، فمن ذلك :

١ - رؤساء الملائكة السبعة عند الكلدانيين والعبرانيين .

٢ - الأرواح العظيمة السبع التي يبتهل إليها الفرس .

٣ - الأرواح الشريرة السبع عند البابليين .

٤ - الآثام الكبيرة السبع عند المصريين .

٥ - القرايين المقدسة السبعة عند المسيحيين .

٦ - نضح الدم على المذابح المصرية سبع مرات .

٧ - البوابات السبع في طيبة .

٨ - الأبواب السبعة في كهف مثراس .

٩ - سبع أبواب جهنم (١) .

١٠ - السموات السبع والأرضون السبع (٢) .

١١ - الطبقات السبع في برج بابل .

١٢ - المزمار ذو القصبات السبع في يد « يان » ، إله الماشية عند اليونان .

١٣ - القيثارة ذات الأوتار السبعة المتفرعة من شجرة الحياة الآشورية .

١٤ - الأحجار السبعة المخصصة للكواكب السبعة في لاكونيا .

١٥ - تقسيم الناس سبع مراتب في كل من مصر والهند الخ الخ .

*

كان القدماء يعتقدون أن حظ الإنسان في الحياة رهن بحركات الأجرام السماوية ، وكانوا يعرفون الشمس والقمر وخمس من الكواكب السيارة ، وبأسماء هذه الأجرام السماوية السبع أسميت أيام

(١) « وإن جهنم لموعدهم أجمعين . لها سبعة أبواب لكل منهم جزء مقسوم »

الحجر ٤٣ - ٤٤

(٢) « الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن » .

الطلاق ١٢

الاسبوع في مصر وبابل وغيرهما . ونجد شيئاً من ذلك في بعض اللغات الأوروبية ، ففي الإنجليزية مثلاً :

يوم السبت Saturday منسوب إلى زحل Saturn
يوم الأحد Sunday « الشمس » Sun
يوم الاثنين monday « القمر » moon

وقد سبقت عبادة الناس للقمر لعبادتهم للشمس ، وربما كان ذلك يرجع إلى أن الشيء المتغير يسترعى الانظار أكثر من الشيء الثابت . ويتم القمر دورته في ٢٨ يوماً وكان القدمون يسمون هذه المدة شهراً ، ولا يزال الأمر كذلك في التوقيت العربي . ويسمى الشهر في الإنجليزية month وهو لفظ مرخم عن moonth أى القمري . ولدورة القمر صلة بالحيض الذى يعترى النساء وإناث الحيسوان كل ٢٨ يوماً . وبقسمة العدد ٢٨ على ٤ ينتج الرقم ٧ وهو عدد أيام الاسبوع . وقد شاركت هذه الأسباب في إكساب هذا الرقم ماله من قدسية ، ومن ثم كثر ظهوره ، في أوضاعه المذكورة آنفاً ، في أديان شتى . وقد ورد ذكره في القرآن في ٢٧ موضعاً نذكر منها قوله :

« يوسف أيها الصديق أقتنا في سبع بقرات سمان يا كلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات لعلى أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون » .

يوسف ٤٦

١٢

مكالمات الكلم

تقول التوراة للشعب الإسرائيلي إن في أرض الميعاد .

« سبع شعوب أكثر وأعظم منك »

تثنية ٧ : ١

وهذا يعنى أن تلك الرقعة الضيقة من الأرض التى لا تزيد على ١٢,٠٠٠ ميل مربع كانت وطناً لما يرى على ٢١,٠٠٠,٠٠٠ من البشر رأى يهوه أن يقطع دابرهم أو — فى الأقل — يحلهم عن بلادهم بغير حق ليحل محلهم بنى إسرائيل ، وما زال الإسرائيليون إلى الآن يتهجون هذا النهج فيفعلون هذه الأفاعيل بعرب فلسطين قطان البلاد الأصلاء . وسلط يهوه على شعوب فلسطين سلاحاً لم يكن لهم قبل به ألا وهو سلاح الزنابير .

« وأرسل أمامك الزنابير فنطرد الحويين والكنعانيين والحشيين من أمامك » .

خروج ٢٣ : ٢٨

إذا كان يهوه قد أطلق على كل من أعداء اليهود ٥٠ زنبوراً فإنه يكون قد جند في هذه الحرب الحشرية نحو مائات من الزنابير لديها المقدرة على التمييز بين المغزوين والغزاة .

وهم يفسرون — أو يسوقون فى الاعتذار من — طول المدة التى

اقتضاهم إياها تدويخ الكنعانيين ومن إليهم أن يهوه أضمر في وليجة نفسه ألا يبيد من عدا اليهود دفعة واحدة حتى لا تتفاوى (١) الوحوش على بني إسرائيل .

ولا أطردهم من أمانك في سنة واحدة ، لئلا تصير الأرض خربة فتكثر عليك وحوش البرية . قليلا قليلا أطردهم من أمانك إلى أن تثمر وتملك الأرض . وأجعل تخومك من بحر سوف إلى بحر فلسطين ومن البرية إلى النهر .

خروج ٢٣ : ٢٩ - ٣١

ياله من عذر ! أفكان يعسر على يهوه أن يرسل زناييره على الوحوش أيضاً فتذيبها من بأسها مثل ما أذاقت سكان البلاد الأصلاء .

وطال الأمر باليهود الظاعنين من وادي النيل وهم يضربون على غير هدى في تلك الفيا في دون أن ينجز لهم يهوه ما وعدهم إياه من إقطاعهم أراضي تفيض لبنا وعسلا ، فلما استنجزوا كلم الله ما مناهم به الههم برم يهوه وضجر من لجاجتهم وأوشك أن يتبرهم (٢) لولا أن أسرع إليه موسى يخوفه ما عسى أن يقول به المصريون عليه وهم المعروفون بحدة ألسنتهم .

ولماذا يتسكلم المصريون قائلين أخرجهم بحبث ليقتلهم في الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض »

خروج ٣٢ : ١٢

(١) تفاوى القوم : تجمعوا وتعاونوا على الشر و - عليه : تجمعوا وتعاونوا عليه فقتلوه أو لم يقتلوه .
(٢) تبره : أهلكه ودمره .

ولم يزل به حتى عدل جل جلاله عما كان قد عقد العزم عليه .
قدم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه .

خروج ٣٢ : ١٤

بيد أنه ما عثم أن عاد فقلب لشعبه ظهر المجن (١) وجبههم بأنهم قاضون نجهم دون أن تطأ أقدامهم أرض الميعاد .

لن تدخلوا الأرض التي رفعت يدي (٢) لاسكنكم فيها . . . جشتمكم . . . أنتم تسقط في هذا القفر وبنوكم يكونون رعاة في القفر أربعين سنة ويحملون فجوركم حتى تنفي جشتمكم في القفر . . . أنا الرب قد تكلمت لأفعلن هذا بكل هذه الجماعة الشريرة المتففة على . في هذا القفر يفنون وفيه يموتون .

عدد ١٤ : ٣٠ - ٣٥

وهذه اللعنة اليهودية فقد المعذبون في الأرض أملهم بالفكاك من ذلك العذاب المقيم . لقد طالما نعموا في مصر بأرقى التقدم الحضارى وأقبح التسامح الدينى والعنصرى ، فلما أبطرتهم النعمة انخرطوا من النعيم فى الجحيم ، جعلوا يجولون ويجولون ولا يهتدون ، وإذا هم يقرصهم كلب الجوع والظما ويؤرقهم الرعب والفرع وتنهم خيبة الأمل ، لقد عاشوا فى تلك الغربة طعاما للخوف ونهبا للوسواس ، ثم مازالوا يتفانون فريسة للمجاعة والطاعون والوحوش والحيات ، حتى أسدلت الستارة آخر الأمر على مشهد بشع ترى فيه . . . ر . . . ٣ جثه مبعثرة

(١) المجن : الترس .
(٢) يقصد : التى أقسمت .

في الفلاة تعبت على يهوه أنه غرر بذويها ولم يصدقهم ما عاهدهم عليه ولم يذقهم اللبن والعسل بل أذاقهم عذاب الهون . وهكذا أبادت السنون المجاف ذلك القرن^(١) من الناس الذين كانوا قد فقهاوا ، في أثناء مقامهم بمصر وعقب خروجهم منها ، كثيراً من الأشياء تثير طريقهم وتكشف لهم عما يراد بهم وما يساقون إليه . لقد ألفوا في مصر المعاملة الإنسانية الكريمة فلما أسئلت معاملتهم في الصحراء رفعوا عقائرهم يجأرون بالشكوى ويتذمرون من الفساد ، فشكل بهم الطغاة وتخرمهم الموت . وخلف من بعدهم خلف مستضعف ذليل أضنته المسغبة وأطبق عليه الجهل وأخذت بناصيته الخرافات فهو لا يعي ولا يفقه شيئاً ويمثل مستكيناً صاغراً لما يرسمه له السكينة من أوامر ويوفهم ما يطلبون إليه توفيته من فرائض .

*

كان موسى في أثناء تلك السنين الطويلة العصبية يصعد في الجبل بين الحين والحين ليبقى يهوه ويقاوله^(٢) . وقد عهدنا أمثاله من يلقون أربابهم ويتحدثون إليهم يؤثرون الجبال مقراً لاجتماعهم ، وعلى سفوح تلك الجبال كانوا يلقون الشرائع السماوية .

وكان الشخصان الساميان يسترسلان في الحديث بغير تكلفه
« ويكلم الرب موسى وجها لوجه^(٣) » كما يكلم الرجل صاحبه ،

خروج ٢٣ : ١١

- (١) القرن : كل أمة هلك فلم يبق منها أحد و - أهل زمان واحد .
(٢) قاولة في أمره : فاوضه وجادله فيه .
(٣) وهذا يخالف ما قيل من أن :

وما قئ . موسى يصعد في الجبل خاوي الوفضة ثم يهبط منه وقد حلاً وفضته^(١) بجملة من الأوامر والنواهي يزعم^(٢) أنها أس التشريع موينبوع الحكمة ومنبت الفضيلة ، ويقول المتدينون بدينه إنه لولا هذا لأظلم الناس على ما فطروا عليه أقرب إلى بهيمة الأنعام .

واليكم قبسا من تلك الآيات اللدنية التي كانت تتناهل^(٣) إليه فوق الجبل .

« الله لم يره أحد قط . الأبن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خير » .
يوحنا ١ : ١٨

ونذكر أن الرب ظهر قبل إبراهيم
« وظهر الرب لأبرام وقال لنسلك أعطى هذه الأرض فبني هناك مذبحاً للرب الذي ظهر له » .

تكوين ١٢ : ٧

ثم قفي بالظهور لإسحق .
« وظهر له الرب وقال لا تنزل إلى مصر » .

تكوين ٢٦ : ٢

ثم ظهر ليعقوب واشتبك معه في مصارعة حرة
« فدعا يعقوب اسم المكان فنيثيل قائلاً لأنني نظرت الله وجهاً لوجه ونجيت نفسي » .

تكوين ٣٢ : ٣٠

(١) الوفضة : خريطة يحمل فيها الراعي اذاته وزاده ، وهي اصغر من الجعبة .
(٢) وهو زعم جزافي لا يؤي إلى سند شديد ، فإن القوانين تسن منذ أقدم الأزمنة للدفاع عن الأئس ووقايتها الأذى ، إذ ليس من الميسور أن يعيش الناس معاً بلا قواعد خلقية يتواضعون عليها لتنظيم حياتهم . وقد كانت مصر ، قبل موسى بزمن حديد ، تعاقب على القتل والزنا وتفصل ما يتصل بالتقصير في الوفاء بالدين وبالإخلال بالعقود وافتكاك الرهائن وما إلى ذلك .

ومن المسلم به أن القوانين المصرية القديمة تفضل القوانين الموسوية من وجوه -
(٣) تتناهلوا إليه : انصبوا .

« لا تضع يدك على عورتك عليه ،

خروج ٢٠ : ٢٦

« لا تطبخ جدياً بلبن أمه ،

خروج ٣٤ : ٣٦

« لا تقصر رؤوسكم مستديراً ،

لاويون ١٩ : ٢٦

« كلم بني إسرائيل وقل لهم أن يصنعوا لهم أهداً با في أذبال ثيابهم في أجيالهم ويجعلوا على هدب الذيل عصاة من أسمانجوني (١) ،

عدد ١٥ : ٣٨

« لا تزرع حقك صنفين ... لا تحث على ثور وحمار معاً . لا تلبس ثوباً مختلطاً صوفاً وكتاناً معاً . أعمل لنفسك جدائل على أربعة أطراف ثوبك الذي تنغطى به ،

ثنية ٢٢ : ٩ - ١٢

« إذا تخاصم رجلان بعضهما بعضاً رجل وأخوه وتقدمت امرأة أحدهما لكي تخلص رجلها من يد ضاربه ومدت يدها وأمسكت بعورته فاقطع يدها ولا تشفق عينك ،

ثنية ٢٥ : ١١ - ١٢

« وإذا أراد مجذوم أن يتطهر من دائه فعليه أن يجزل العطاء للكاهن ، ومن المعلوم أن جميع كهنة بني إسرائيل في مختلف الاوقات هم من حفدة هرون شقيق موسى .

(١) أي زرقاء اللون ، والزرقة هي اللون الرسمي الأثير عند اليهود

« فيأخذ الكاهن كبش الإثم ورج الزيت ويرددهما الكاهن ترديدا أمام الرب . ثم يذبح كبش الإثم ويأخذ الكاهن من دم ذبيحة الإثم ويجعل على شحمة أذن المتطهر وعلى إبهام يده اليمنى وعلى إبهام رجله اليمنى ويصب الكاهن من الزيت في كف الكاهن اليسرى وينضح الكاهن بإصبعه اليمنى من الزيت الذي في كفه اليسرى سبع مرات أمام الرب . ويجعل الكاهن من الزيت الذي في كفه على شحمة أذن المتطهر اليمنى وعلى إبهام يده اليمنى وعلى إبهام رجله اليمنى وعلى موضع دم ذبيحة الإثم . والفاضل من الزيت الذي في كف الكاهن يجعله على رأس المتطهر تكفيرا عنه أمام الرب . ثم يعمل واحدة من النمامتين أو من فرخى الحمام بما تنال يده ما تنال يده . الواحد ذبيحة خطية والآخر محرقة مع التقدمة . ويكفر الكاهن عن المتطهر أمام الرب . هذه شريعة الذي فيه ضربة برص الذي لا تنال يده في تطهيره .

لاويون ١٤ : ٢٤ - ٣٢

تذكرنا هذه الحركات بما تفعل « السكدية » بعروس « الزار » عندما يذبح الكبش قربانا للجان ، ونستطيع أن نتصور كيف يتميز يهوه من الغيظ ويفور فائره على الكاهن إذا التبس عليه الأمر فأخطأ فيما بين الايمن واليسر من أعضاء الجسم .

ولايكم بعض ما يهوه به الكاهن من مغام

« ذبيحة الإثم كذبيحة الخطية . لهما شريعة واحدة . الكاهن الذي يكفر بها تكون له . والكاهن الذي يقرب محرقة لإنسان المحرقة التي يقربها تكون له . وكل مقدمة خبزت في التنور وكل ما عمل في طاجن

أو على صاج يكون للكاهن الذي يقربه . وكل مقدمة ملتوة بزيت أو ناشفة تكون لجميع بني هرون كل إنسان كأخيه » .

لاويون ٧ : ٧ - ١٠

حقاً ، لقد استهتر^(١) يهوه بأمور الجزارة والطهارة ثم انصرف إلى ابتكار طرز اللباس (تصميم الأزياء) فشغل الإصحاح الثامن والعشرين من سفر الخروج كله بوصف حلة الكاهن هرون أخى موسى ، ومن ذلك قوله في وصف الصدر المشوذة .

« وتصنع صدرية قضاء . صنعة حائك حاذق كصناعة الرداء تصنعها . من ذهب وأسما نجوني وأرجوان وقرمز وبوص مبروم تصنعها . تكون مربعة مثنية طولها شبر وعرضها شبر وترصع فيها ترصيع حجر أربعة صفوف حجارة . صف عقيق أحمر وياقوت أصفر وزمرد . الصف الأول . والصف الثاني بهرمان وياقوت أزرق وعقيق أبيض . والصف الثالث عين الهر ويشم وجمشت . والصف الرابع زبرجد وجزع ويشب . تكون مطوقة بذهب في ترصيعها . وتكون الحجارة على أسماء بني إسرائيل اثني عشر على أسمائهم . كنقش الخاتم كل واحد على اسمه تكون للآثني عشر سبطاً .

وتصنع على الصدرية سلاسل مجدولة صنعة الضفر من ذهب نق . وتصنع على الصدرية حلقتين من ذهب . وتجعل الحلقتين على طرفي الصورة وتجعل طرفي الضفيرتين الآخرين في الطوقين وتجعلهما على

(١) استهتر بالشئ : فتن به ولزمه غم مال بنقد ولا موعظة ، يقال استهتر بالشراب واستهتر بفلانة .

كتفي الرداء إلى قدامه . وتصنع حلقتين من ذهب وتضعهما على طرفي الصدرية على حاشيتها التي إلى جهة الرداء من داخل . وتصنع حلقتين من ذهب وتجعلهما على كتفي الرداء من أسفل من قدامه عند وصله من فوق زنار الرداء بخيط من أسمانجوني ليسكون على زنار الرداء . ولا تنزع الصدرية عن الرداء . فيحمل هرون أسماء بني إسرائيل في صدرية القضاء على قلبه عند دخوله إلى القدس للتذكار أمام الرب دائماً . وتجعل في صدرية القضاء الأوريم والتميم لتسكون على قلب هرون عند دخوله أمام الرب . فيحمل هرون قضاء بني إسرائيل على قلبه أمام الرب دائماً .

خروج ٢٨ : ١٥ - ٢٠

واستفاض الحديث بين الطرفين الساميين كذلك في مقاييس قطع الرياش والأثاث وما يرتفق به في أماكن العبادة ، وأخذ يهوه يحصى مطالبه .

« وكلم الرب موسى قائلاً . كلم بني إسرائيل أن يأخذوا إلى مقدمة ... ذهب وفضة ونحاس وأسمانجوني وأرجوان وقرمز وبوص وشعر معزى وجلود كباش حمرة وجلود تخش وخشب سبط وزيت للنبارة وأطياب لدهن المسحة والبخور العطر وحجارة جزع » .

خروج ٢٥ : ١ - ٧

واسترسلا في الحديث فطال بهما الوقت إذ كان موسى السكيم

« أغلف الشفتين » .

خروج ٦ : ١٢

ومضى يهوه في بيان الاشياء التي هو بحاجة إليها مستوعبا
الإصحاحات ٢٥ إلى ٣٢ من سفر الخروج .

ويبدو أن أحاديث الغذاء والكساء هذه كانت شائعة فأهلت
طلاتها موسى ، وهو شيخ قد ذرف على الثمانين ، عن طعامه وشرابه
أياماً وأسابيع فيها ه وهو في صبارة^(١) القرفوق عرعة^(٢) الجبل وأنسيته
أيضاً رعيته فبرمت بانتظاره . لقد ظلت تتطلع إليه مترقة قدومه
ولكنها لم تر إلا سحباباً ، وشعروا بالحاجة إلى زعيم جديد و - من
ثم - إلى إله جديد ، فطلبوا إلى هرون أن يصنع لهم إلهاً يتخففون به من
وطأة عزلتهم الدينية ، وسرعان ما لبى هرون طلبتهم مبتهجاً بتلك
الفرصة المتيحة له أن يتخذ موقف الند من النذ تجاه أخيه الذي يهيمن
عليه مع أنه يصغره في السن .

وطلب هرون إلى قومه أن يلقوا إليه بما يقتنون من ذهب ،
وهذا هو الطلب الأول اسكل كاهن في كل قطر وفي كل عصر .

» فقال لهم هرون انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم
وبنيسكم وبناتكم وأتوني بها .

خروج ٣٢ : ٢

وبادر القوم ذكورا وإناثا إلى نزع أقراطهم فصاعها هرون على

(١) الصبارة : شدة البرد .

(٢) عرعة كل شيء : أعلاه . يقال عرعة الجبل .

هيئة العجل (١) ، ولعله توخى أن يجيء بالعجل المصوغ شديداً بعجل
أبيس الذي كان يعبد يوماً في مصر .

(١) رباً القرآن بهرون عن إتيان هذه الفعلة الذميمة ويذهب إلى أن مقترفاها
هو رجل سامري لا يعرف رجال اللاهوت الإسلامي من أمره شيئاً . والمعروف
أن السامريين شيعة من اليهود يعترفون بالتوراة وحدها دون سائر الكتب
الدينية الأخرى ولا يعترفون بالسنة .

نقل الطبري في كتابه « تاريخ الأمم والملوك » عن ابن عباس أنه قال :
كان السامري رجلاً من أهل باجرما وكان من قوم يعبدون البقر فكان حب
عبادة البقر في نفسه وكان قد أظهر الإسلام في بني إسرائيل ، فلما فصل موسى عن
بني إسرائيل إلى ربه تبارك وتعالى قال لهم هرون إنكم قد حملتم أوزاراً من زينة
القوم آل فرعون وأمتعة وحلياً فتطهروا منها فإنها نجس ، وأوقد لهم ناراً وقال
اقذفوا ما كان معكم من ذلك فيها قالوا نعم فجعلوا يأتون بما كان فيهم من تلك الحلي
وتلك الأمتعة فيقذفون به فيها حتى إذا انكسرت الحلي فيها رأى السامري أن ترفض
جبرائيل فأخذ تراباً من أثر حافرة ثم أقبل إلى الحفرة فقال لهرون يا بني الله ألقى
ما في يدي . قال نعم ولا يظن هرون إلا أنه كبعض ما جاء به غيره ، فقفذه
فيها وقال كن عجلاً جسداً له خوار فكان للبلاء والفتنة ، فقال هذا إلهكم وإله
موسى فمكفوا عليه وأحبوه حباً لم يحبوا مثله شيئاً قط . وكان اسم السامري
موسى بن ظفر ، وقع في أرض مصر فدخل في بني إسرائيل .

فلما رأى هرون ما وقعوا فيه قال يا قوم إنما فتنتم به - إلى قوله - حتى يرجع إلينا
موسى . فأقام هرون فيمن معه من المسلمين ممن لم يفتن وأقام من يعبد العجل على عبادة
العجل وتخوف هرون لأن سار من معه من المسلمين أن يقول له موسى فرقت بين بني إسرائيل
ولم ترقب قولي ، وكان هائباً مطيعاً . ولما أنهى موسى إلى قومه ورأى ما هم فيه
من عبادة العجل ألقى الألواح من يده وكانت فيما يذكرون من زبرجد أخضر
ثم أخذ برأس أخيه ولحيته ويقول ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعني - إلى قوله -
ولم ترقب قولي . قال يا ابن أم ، إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي
الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين فارغوى موسى وقال رب أغفر لي ولأخي وأدخلنا
في رحمتك وأنت أرحم الراحمين . أو هذا ما اخترعته تخيلة ابن العباس - لأن صحت
الرواية - ويكنى لتفنيد هذا الهراء أن نعرف أن اليهود في أيام موسى لم يكونوا
يعرفون شيئاً من أمر جبريل ومن إليه من الملائكة المحججين .

« فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل وصنعه بجلا مسبوكا .
فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من مصر . فلما نظر هرون
بنى مذبحا امامه ونادى هرون وقال غدا عيد للرب . فبكروا في الغد
وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة . وجلس الشعب للأكل
والشرب ثم قاموا للعب » .

خروج ٣٢ : ٤-٦

وليس يفوتنا هنا أن نذكر أن العبريين القدماء كانوا في غواير
أيامهم يعبدون عجلا ذهبيا أو مذهبا، وكانوا يتخذون منه إلها ورمزا
للقوة وللإخصاب. ويذهب الكثير من علماء الانثروبولوجيا (١) إلى
أن الموطن الأصلي للساميين هو بلاد العرب حيث كان العجل الوحشي
حيوانا مقدسا يقيمونه في معابدهم زائنا لها وحاميا لحماها . وفي الكتاب
المقدس مواضع شتى تجد فيها موازنة بين إله العبرانيين والعجل الوحشي،
ومن ذلك قول بلعام يصف يهوه ويدكر كيف أخرج شعبه المختار
حشيشا من مصر .

« الله أخرجه من مصر . له مثل سرعة الرئم »

عدد ٢٣ : ٢٢

ويبدو أن القوم كانوا مايزالون في حيرة من أمرهم لا يقطعون
من الذي انتشلهم من وهدة العبودية : أهو الإله الذي لهج بذكره
موسى أو هو العجل الذي قال لهم هرون ومشايعوه بصددده :

(١) علم الإنسان وهو علم يبحث في أصل الجنس البشري وتطوره وأعرافه
وعاداته ومعتقداته .

« هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر »

خروج ٣٢ : ٤

لقد عهدنا موسى يتلقى الشريعة مشافهة فيدونها بخطه وينقل
التشريعات الجديدة إلى الشعب الإسرائيلي فيعاهدونه على الاستمساك
بها فيقدس موسى هذه المعاهدة بالدم كما جرت العادة في الشعوب البدائية .

« فكتب موسى جميع أقوال الرب (١) . وبكر في الصباح وبنى مذبحا
في أسفل الجبل وذبحوا ذبائح سلامة للرب من الثيران . . .
وأخذ موسى الدم ورش على الشعب وقال هو ذا دم العهد الذي قطعه
الرب معكم على جميع هذه الأقوال » .

خروج ٢٤ : ٤ - ٨

بيد أن يهوه أراد مرة أن يعطيه الشريعة مكتوبة .

« وقال الرب لموسى اصعد إلى الجبل وكن هناك فأعطيك لوحى
الحجارة والشريعة والوصية التي كتبها لتعليمهم ، فقام موسى ويشوع
خادماه ، وصعد موسى إلى جبل الله »

خروج ٢٤ : ١٢ - ١٣

(١) هذا مع ملاحظة أن جهايزة العلماء أجمعوا على أن بنى إسرائيل لم يعرفوا
القراءة والكتابة إلا منذ القرن التاسع ق م وعلى أن لغتهم المكتوبة ظلت إلى
القرن السابع الميلادى خلوا من علامات الإعجام والضبط أى الشكل الذى يقوم مقام
أحرف الملة لخلو اللغة العبرية منها ، وقد نقل اليهود هذه العلامات عن العرب الذين
ابتدعوها لضبط كتابة القرآن .

أما يشروع فقد اكتفى بالقيام ولكنه لم يصعد، ولا نعرف كيف كان
مسلكه بازاء الأحداث التالية ، إذ أنه لم يكن عندئذ أكثر من خادم
لموسى كما سيأتى :

وتحدث يهوه مليا إلى موسى :

« ثم أعطى موسى عند فراغة من الكلام معه فى جبل سينا لوحى
الشهادة . لوحى حجر مكتوبين بإصبع الله » .

خروج ٣١ : ١٨

وأنهى يهوه هذا اللقاء الإلهى السامى بأن أنهى إلى موسى أن الشعب
التف حول العجل الذهبى وقدم له فروض العبادة ، فانهدر موسى من
الجبل حاملا معه لوحى الشهادة . ومع أنه لم يقاها حين شاهد بنى
إسرائيل يرقصون حول العجل فقد أظهر حنقا شديدا .

« وطرح اللوحين من يديه وكسرها فى أسفل الجبل ،

خروج ٣٢ : ١٩

فيا له من مسلك .

وجمع موسى إليه ذوى قرابته من بنى لاوى .

« فقال لهم . هكذا قال الرب إله إسرائيل . ضعوا كل واحد
سيفه على نحره ومروا وارجعوا من باب إلى باب فى الحلة واقتلوا
كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه . ففعل بنو لاوى

بحسب قول موسى . ووقع من الشعب فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف
رجل ،

خروج ٢٢ : ٢٧ — ٢٨

ها هو ذا موسى الذى أنزلت عليه الوصية السادسة « لا تقتل » .

خروج ٢٠ : ١٣

ينتهك هذه الوصية إذ يقتل بنى قومه فى غير تمييز لأنهم انتهكوا
الوصية الثانية التى تنهى عن صنع الأصنام وعبادتها ، وهى وصية
لم يكن قد ذكر فيها نوع عقاب من يخالف عنها ، وعهدنا بالقوانين
فى البلاد المتقدمة أنها لاتكتفى ببيان ما هو عدوان محظور وما هو حق
مباح لحسب ، بل تبين كذلك مدى العقوبة التى توقع على مقترف
الخطأ .

أما الشقيق العزيز هرون ، ذلك الذى خان وكالته وأفسد رعيته
وأيقظ الفتنة النائمة ، فقد كان كل ما وفق إليه من عذر يتعلل به هو
أنه لم يصنع العجل على عمد وأنه لم يفعل شيئا غير أن جمع الذهب
وأوقد عليه النار فإذا هو عجل يكاد يسمع له خوار .

« فقلت لهم من له ذهب فليزعه ويعطينى فطرحته فى النار فخرج
هذا العجل » .

خروج ٣٢ : ٢٤

ولم يشرك هذا الشقيق العزيز ، سادن (١) العجل الذهب ، رفاهه عباد
هذا العجل مصيرهم الفاجع ، كما أنه لم يشرك شقيقته النبوية مريم ابنة عمران

(١) سادن الرجل : خدم الكعبة أو بيت الصم .

ما ألم (١) بها من البرص عندما انبرى كلاهما يفتاب أخاه موسى ويبرى عليه تزوجه امرأة من بنات الحبش (٢) .

١٣ الوصايا العشر

مهد موسى لفرض الوصايا العشر على قومه بتهيئته جوا سحرياً يشل أذهانهم ويبلد نفوسهم فيدعهم يتقبلون ما يوحيه إليهم معقولا كان أو غير معقول . ولئن كان كهنة الأديان البدائية الأخرى يتوسلون إلى إيقاع عشائهم في غيبوبة روحية بمعاطاتهم أشربة روحية ونباتات مخدرة . لقد لجأ موسى إلى إحداث التأثير النفسى فى الملايين الثلاثة من المهاجرة الذين تظلمهم رأيتهم وأحاط الأمر كله بالغموض

١ - فدعا القوم إلى التطهر بفسل الشيايب والصوم عن قربان النساء .

• فقال الرب لموسى اذهب إلى الشعب وقدمهم اليوم وغدا .
وليغسلوا ثيابهم •

خروج ١٩ : ١٠

٢ - وحذرهم من الدنو (١) من الجبل الذى سيصعد فيه لتكليم يهوه
٣ - وأمعن فى استغلال ظواهر الطبيعة الغاضبة الصاخبة من تكاثف السحب وهزيم الرعود وميض البروق ، ولعل بعض أعوانه كانوا يندشون بين شعاب الجبال يطلقون الدخان وينفخون فى الأبواق .
• وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار .

(١) قرب الشيء : دنا منه وباشره . وللتشديد فى النهى عن الأمر يقال لاتقربه و - الرجل زوجته : جامعها ومنه (ولاتقربوهن حتى يتطهرن) .

(١) ألم على القوم : أتاهاهم فزل بهم وزارهم زيارة غير طوبلة .

(٢) • وتكلمت مريم وهرون على موسى بسبب المرأة الكوشية التى اتخذها .

لأنه كان قد اتخذ امرأة كوشية

غنى غضب الرب عليهما ومضى . فلما ارتفعت السحابة عن الخيمة إذا مريم برساء كائلاج فصرخ موسى إلى الرب قائلاً اللهم اشفها . فقال الرب لموسى ولو بصق أبوها بصقا فى وجهها أما كانت تحجل سبعة أيام خارج المحلة . تحجز سبعة أيام خارج المحلة ويهد ذلك ترجع •

عدد ١٢ : ١-١٤

وصعد دخان كدخان الآتون وارتجف كل الجبل جداً . فكان صوت البوق يزداد اشتداداً جداً وموسى يتكلم والله يجيبه »

خروج ١٩ : ١٨ — ١٩

٤ — وتخبأت أعصاب القوم وسرى الرعب في أوصالهم ، فابتهلوا إلى موسى أن ينقل إليهم مشيئة يهوه ولا يدعسه يشافهم بالحديث فيوبهم ، فإن لهم من خبرتهم به ما يحفزهم إلى الهرب من أذاه .

٥ — ووصل آخر الأمر إلى الغاية المنشودة ، فأوجب عليهم البذل للسكنة والتضحية للرب والتبرع بالأبقار والاعنام وهما قوام الثراء في تلك الأيام .

٦ — وليس يفوتنا أن نلاحظ أن عنصر التضحية المضطبعة بالدم قد برز هنا ، فإن شعائر كل دين تدل على عمره كما تدل الأحافير على مقدار تقادم الطبقات الأرضية التي تحتوى عليها .

٧ — إن ختام الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر الخروج يلقى على الموضوع ضوءاً يكشف عن خبيثته .

« وكان لما نزل موسى من جبل سيناء ولوحا الشهادة في يد موسى عند نزوله من الجبل أن موسى لم يعلم أن جلد وجهه صار يلمع في كلامه معه . فنظر هرون وجميع بنى إسرائيل موسى وإذا جلد وجهه يلمع . فخافوا أن يقتربوا إليه . فدعاهم موسى . فرجع إليه هرون وجميع الرؤساء في الجماعة . فكلمهم موسى . وبعد ذلك اقترب جميع بنى إسرائيل فأوصاهم بكل ما تكلم به الرب معه في جبل سيناء . ولما فرغ موسى من الكلام معهم جعل على وجهه برقعاً . وكان موسى عند دخوله أمام الرب ليتكلم معه ينزع البرقع حتى يخرج . ثم يخرج ويكلم بنى إسرائيل بما يوصى . فإذا رأى بنو إسرائيل وجهه

موسى أن جلد وجهه يلمع كان موسى يرد البرقع على وجهه حتى يدخل ليتكلم معه . »

خروج ٢٤ : ٢٩ — ٣٥

فالموضوع كله ، كما يتضح من ذلك ، لا يعدو أن يكون عملاً من أعمال الشعوب .

*

تنظم الوصايا المدونة في الإصحاح المتمم للعشرين من سفر الخروج ١٣ وصية مكتوبة في ١٦ جملة ، وقد أسموها مع ذلك بالوصايا العشر لأن الرقم ١٠ ، كان عندهم ذا شأن (١) .

وقد ذكرت الوصايا العشر مرة أخرى في الإصحاح الخامس من سفر تثنية الاشتراع على صورة تختلف عن صورتها الأولى مع أن الصورتين موحى بهما من مصدر واحد إلى شخص واحد .

ومن أمثلة ذلك أن الوصية الرابعة التي تحض على تقديس يوم السبت قد وردت في سفر الخروج في ٥٣ كلمة عربية (و ٩٤ كلمة إنجليزية) على حين هي قد وردت في سفر التثنية في ٦٨ كلمة عربية (و ١٣٣ كلمة إنجليزية) وذلك مع اختلاف المتن في بيان توضيح السبب الذي وجب من أجله تقديس السبت .

(١) وقد زعم أحد مدرسي علم الحساب أننا نستعمل الوحدات العشرية في حساباتنا لأن لنا في كتابنا يدينا عشر أصابع .

في سفر الخروج	في سفر التثنية
لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها واستراح في اليوم السابع .	وأذكر أنك كنت عبداً في أرض مصر فأخرجك الرب إلهك من هناك بيد شديدة وذراع ممدودة . لأجل ذلك أوصاك الرب إلهك أن تحفظ يوم السبت .

وقد ذكر السبب في تقديس السبت مرة أخرى قبل ذلك .

• وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل . وبارك الله اليوم السابع وقدمه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً «

تكوين ٢ : ٢ - ٢

وهذا يعني أن تقديس السبت كان منذ بدء الخليقة لا منذ أيام موسى فحسب ، وذلك يناقض كل المناقضة ما يؤخذ من قوله .
• سبقوا تحفظونها . لأنه علامة بيني وبينكم في أجيالكم . لتعلموا أني أنا الرب الذي يقديسكم ،

خروج ٣١ : ١٢

ونرى كذلك اختلافاً بينا بين المتين فيما يتصل بالوصية العاشرة التي تنهى عن الحسد ، فهي .

في سفر الخروج . إصحاح ٢٠	في سفر التثنية . إصحاح ٥
لا تشته بيت قريبك . لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لمّا لقريبك .	ولا تشته امرأة قريبك ولا تشته بيت قريبك ولا عبده ولا ثوره ولا حماره ولا كل ما لقريبك .

ويرى فقهاء الكتاب المقدس أن النص الذي في سفر التثنية كتب بأخرة ، ودليلهم على ذلك .

١ - استعماله حرف الواو للإضافة في الوصايا السابعة وما بعدها

٢ - ذكر « الحقل » في ذلك النص .

وتم ملاحظة أخرى هي أن الوصايا ، في سفر الخروج ، تليت على موسى شفاهاً .

• ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلاً ،

خروج ٢٠ : ١

على حين هي في سفر التثنية ، قد سلمت إليه مكتوبة .

• فكتبت على اللوحين مثل الكتابة الأولى الكلمات العشر التي كلمكم بها الرب في الجبل من وسط النار في يوم الاجتماع وأعطاني الرب إياها (١) .

تثنية ١٠ : ٤

(١) هذا ، وقد بدل المسيحيون في متون هذه الوصايا شيئاً ما ، فن ذلك أنهم حفظوا من الوصية الأولى جملة

ولتتابع الآن قصة اللوحين الحجريين

« ثم قال الرب لموسى انحت لك لوحين من حجر الاولين فأكتب أنت »

== « الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية » .

خروج ٢٠ : ٢

لأنها لا تنطبق عليهم ، فهم لم يكونوا قط في مصر ولم يحررهم يهوه من العبودية .
وقد أطاح البروتستانت الوصية الأولى جملة وأحلوا محلها فقرة من الوصية الثانية .
أما الكاثوليك فقد أبقوا من الوصية الأولى كلمات ضئيلة ، فأصبح نصها :

عند اليهود	عند الكاثوليك	عند البروتستانت
أنا الرب الهك . الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية	لا يكن لك آلهة أجنبية أمامى	لا يكن لك آلهة أخرى أمامى

أما الوصية الثانية ، تلك التى تحرم صنع التماثيل فقد طوح بها الكاثوليك لأنها
تناوى أكثر شعائرهم الدينية لإدراها للربح ، فهم يصنعون التماثيل المنحوتة
ويعبدون ما يصنع من تماثيل القديسين .

لقد عرف الكاثوليك ، في القرن السادس ، الصليب الذى نقش فيه صورة
المسيح مصلوباً (ويسمى هذا الصليب المنقوش فى الإنجليزية crucifix على حين
يسمى الصليب الأمسح cross وقد أقره مجمع القسطنطينية سنة ٦٩٢م كما أقر المجمع
العام السابع فى اجتماعه بمدينة نيقية سنة ٧٨٧م) وهو المعروف باسم المجمع النيقاوى
الثانى (تقديس صور المسيح والقديسين دون عبادتها . وقد تم هذا القرار على الرغم
من المعارضين وعلى رأسهم ملك الفرنجة شارلمان (٧٤٣ - ٨١٤م) . وقد عمدت
الكنيسة من ذلك الوقت إلى حذف الوصية الثانية من مطبوعات الكتاب المقدس
وإلى إحلال الوصية الثالثة محلها ، بيد أن الناس لم ينتبهوا لذلك إلا بعد حين .
وبذلك أصبح نص الوصية الثانية .

على اللوحين السكيات التى كانت على اللوحين الاولين اللذين كسرتهم » .

خروج ٣٤ : ١

هذا وعد صريح قاطع بأن يكتب الله على اللوحين الجديدين
صورة ما كان قد خطه بإصبعه على اللوحين القديمين .

« فنحت لوحين من حجر كالاولين . وبكر موسى فى الصباح
وصعد الى جبل سيناء كما أمره الرب . وأخذ فى يده لوحى الحجر ،
خروج ٣٤ : ٤

« فنزل الرب فى السحاب ،

خروج ٣٤ : ٥

وتحدث الرب قليلا إلى موسى ثم أخذ يتلو عليه الوصايا العشر ،
فكانت أولها .

عند اليهود	عند الكاثوليك	عند البروتستانت
لا يكن لك آلهة أخرى أمامى .	لا تنطق باسم الرب لهك باطلا	لا تصنع لك تماثلا منحوتا ... الخ
لا يصنع لك تماثلا منحوتا ... الخ		

وتستمر الحال على هذا المنوال ، فبينما نجد الوصية « لا تسرق » هى الثانية عند
اليهود والبروتستانت إذا هى السابعة عند الكاثوليك . وهذا شأن الوصية « لا تشهد
على قريبك شهادة زور » فهى التاسعة عند اليهود والثامنة عند الكاثوليك . وقد
وضع الكاثوليك فى مكان الوصية التاسعة جزءا من الوصية العاشرة .

« لا تصنع لنفسك آلهة مسبوكة ،

خروج ٣٤ : ١٧

وكانت عاشرتها :

« أول أبكار أرضك تحضره إلى بيت الرب الهك . لا تطبخ جديا بلبن أمه » (١) .

خروج ٣٤ : ٢٦

وهي مجموعة من الوصايا تختلف اختلافاً بيننا عن تلك التي كان الله قد خطها بإصبعه في اللوحين الأولين . ولقد وعد يهوه نبيه موسى بأن يكتبها بإصبعه مرة أخرى على اللوحين الآخرين ، بيد أنه أخلف وعده . وقال الرب لموسى اكتب لنفسك هذه الكلمات . لأنني بحسب هذه الكلمات قطعت عهداً معك ومع إسرائيل . وكان هناك عند الرب أربعين نهراً وأربعين ليلة لم يأكل خبزاً ولم يشرب ماء . فكتب على اللوحين كلمات العهد الكلمات العشر .

خروج ٣٤ : ٢٧ — ٢٨

لو أن أحداً عثر على هذين اللوحين الحجريين الجديدين لما كان لهما مثل قيمة اللوحين الأولين اللذين كتبهما يهوه بإصبعه القدسية . ومع ذلك فإن كتب موسى لهما ولا كتاب (٢) الله له إياها يجعلهما لا يقومان بشئ . فما الذي صار إليه أمرهما ؟ إن التوراة لا تذكر أنهما حطما كاللوحين الأولين . فإين ترى مكانهما ؟

(١) يؤمن البدائيون بفعالية السحر ، ويعتقدون أن المرء إذا جمع على مائدته بين اللحم والبن تولدت من اجتماعهما صلة سحرية عاطفية وخيمة العاقبة .
(٢) أكتب فلانا قصيدة ونحوها : أملاه إياها .

١٤

السفاح

لم ينته موسى عن القتل بعد ما فصل عن مصر خلفاً في كل بيت من بيوتها ما تماً يتجاوب فيه عجيج الخزاني وصوات الثكالي ، فقد كان مفطوراً على الصرامة والقسوة مطبوعاً على العنف وسفح الدم ، إذا أعوزه المجال لاصطلام الخصوم والأعداء لم يعدم مسوغاً للقتل بالاتباع والعشراء . وعندما تردى برداء المشرع جعل القتل عقاباً أكيدا لمن يخالف شريعته في جسام الأمور وسفسافها ، وجعل كلما نهى عن شيء يعزز للنهي متوعداً بالقتل .

٩ — كل إنسان سب أباه أو أمه فإنه يقتل . قد سب أباه أو أمه . دمه عليه (١) .

١٠ — وإذا زنى رجل مع امرأة فإذا زنى مع امرأة قريبه (٢) فإنه يقتل الزاني والزانية .

١١ — وإذا اضطجع رجل مع امرأة أبيه فقد كشف عورة أبيه . لأنهما يقتلان كلاهما . دمهما عليهما

١٢ — وإذا اضطجع رجل مع كنته (٣) فإنهما يقتلان كلاهما . قد فعلاً فاحشة دمهما عليهما .

(١) يعني هو الجاني على نفسه ، ويقول بعض العامة : ذنبه على جنبه .
(٢) مع امرأة قريبه تعني أيضاً مع امرأة يهودية .
(٣) الكنته : امرأة الأبن أو الأخ .

- ١٣ — وإذا اضطجع رجل مع ذكر اضطجاع امرأة فقد فعلا كلاهما رجسا . إنهما يقتلان . دمهما عليهما .
- ١٤ — وإذا اتخذ رجل امرأة وأمها فذلك رذيلة بالنار يحرقونه وإياهما لكي لا يكون رذيلة بينكم .
- ١٥ — وإذا جمل رجل مضجعه مع بهيمة فإنه يقتل والبهيمة تميمونها .
- ١٦ — وإذا اقتربت امرأة إلى بهيمة لنزائها تميمت المرأة والبهيمة . إنهما يقتلان . دمهما عليهما .
- ١٧ — وإذا أخذ رجل أخته بنت أبيه أو بنت أمه ورأى عورتها ورأت هي عورته فذلك عار . يقطعان أمام أعين بني شعبهما قد كشف عورة أخته . يحمل ذنبه .
- ١٨ — وإذا اضطجع رجل مع امرأة طامث وكشف عورتها عرى ينبوعها وكشفت هي ينبوع دمها يقطعان كلاهما من شعبهما .
- ١٩ — عورة أخت أمك أو أخت أهلك لا تكشف . إنه قد عرى قريته . يحملان ذنبهما .
- ٢٠ — وإذا اضطجع رجل مع امرأة عمه فقد كشف عورة عمه . يحملان ذنبهما . يموتان عقيمين .
- ٢١ — وإذا أخذ رجل امرأة أخيه فذلك نجاسة . قد كشف

- عورة أخيه . يكونان عقيمين (١) .
- لاويون ٢٠ : ٩ — ٢١
- « وإذا كان في رجل أو امرأة جان (٢) أو تابعة فإنه يقتل ،
- لاويون ٢٠ : ٢٧
- « وإذا أغواك سرّاً أخوك ابن أمك أو ابنك أو ابنتك أو امرأة حضنك أو صاحبك الذي مثل نفسك قاتلاً نذهب ونعبد آلهة أخرى لم
-
- (١) لو أن هذه الحدود طبقت على من سبق موسى من شيوخ العبرانيين لأودت بحياة الكثيرين منهم .
- إن «أبرام» الأب الأعلى لبني إسرائيل وأرومة دوحة النبوة فيهم بنى بأخته لأبيه «ساره» وكشف عورتها .
- «وبالحقيقة هي أختي ابنة أبي غير أنها ليست ابنة أبي فصارت لي زوجة»
- تكوين ٢٠ : ١٢
- وسار الذي بيع اسحق في الدرب الذي سلكه أبوه ، فاضطجعت امرأته الحسناء رفقة إلى جرار لينعم بالعيش الرغد معها في رحاب ملكها أبيمالك .
- «وسأله أهل المسكان عن امرأته فقال هي أختي ...»
- تكوين ٢٦ : ٧
- وافترع لوط ابنته وأولد كلا منهما ابناً
- «خلعت ابنتا لوط من أبيهما» فولدت البكر ابناً ودعت اسمه موآب ، وهو أبو الموابين إلى اليوم . والصغيرة أيضاً ولدت ابناً ودعت اسمه بن عمى . وهو أبو بني عمون إلى اليوم .
- تكوين ١٩ : ٣٤ — ٣٨
- ونزا يهوذا ابن يعقوب «أى أخو يوسف» على ثامار أرملة ابنه .
- «فنظر يهوذا وحسبها زانية لأنها كانت قد غطت وجهها ... ودخل عليها فخلعت منه» .
- تكوين ٣٨ : ١٥ — ١٨
- (٢) يعنى إذا أصيب الرء بمرض عقلى . لاحظ الاشتقاق القوي بين الجنات والجنون .

تعرّفها أنت ولا آباؤك . . . فلا ترض منه ولا تسمع له ولا تشفق
عينك عليه ولا ترق له ولا تستره بل قتلًا تقتله . يدك تكون عليه أولا
لقتله ثم أيدي جميع الشعب أخيرا ترجمه بالحجارة حتى يموت « (١) .
تثنية ١٣ : ٦ — ١٠

وكذلك خروج ١٢ : ١٩

» ١٣ : ١٩

» ١٧ : ٢١

» ٢٨ : ٢١

» ٢٨ : ٢١

» ٣٨ : ٣٠

» ١٥ — ١٤ : ٣١

» ٢ : ٣٥

» ٢٠ — ١٨ : ٢٢

» ٦ : ٢٠

لاويون ٧ : ٢٢ — ٧٢

» ٢٧ : ٢٠

» ٢٦ : ٢٤

» ٢٩ — ٢٧ : ٢٦

(١) وطوعاً لذلك لاجب أن اليهود صلبوا الرب يسوع وقد مثل بينهم بشرا
يدعوهم إلى دين غير الذي ألفوا ، فقطعوا عليه سبيل الحجاج والحجاج ولم يحتسبوا
في دعاواه إلى العقل والنطق بل وقفوا منه موقفهم المعروف امتثالاً لأمر يهوه
وشعارهم القتل عند اختلاف العقيدة .

لاويون ٢٧ : ٢٩

عدد ٣ : ١٠

» ٩ : ١٣

» ١٧ : ١٣

» ٣٥ : ٢١

تثنية ١٣ : ٦ — ١٠

» ١٧ : ١٢

» ٢١ : ١٨ — ٢١

وهلم جرا

ولم يقف الأمر عند حد التهديد والوعيد بل جرى مجرى التحقيق
والتنفيذ ، ومن ذلك أنه .

« خرج ابن امرأة إسرائيلية وهو ابن رجل مصري في وسط بني
إسرائيل . وتخاصم في المحلة ابن الإسرائيلية ورجل إسرائيلي . فخدف
ابن الإسرائيلية على الاسم وسب . فأتوا به إلى موسى . فكلّم موسى
بني إسرائيل أن يخرجوا الذي سب إلى خارج المحلة ويرجموه
بالحجارة ففعل بنو إسرائيل كما أمر الرب موسى . »

لاويون ٢٤ : ١٠ — ٢٣

وهكذا قتل موسى ابن المصري في سيناء بعد أن قتل شاباً مصرياً في
مصر قبل ٤٠ عاماً وبعد أن اثنى في المصريين - بعد ما به من مدين -
تقتيلاً وتسكيلاً .

وحدث أن رجلاً بأبسا من أتباعه رأى أن يهيئ لاطفاله المقرورين .

جدوة يصطلون بها احتفاء من زمهرير الصحراء وينضجون عليها طعامهم .

« ولما كان بنو إسرائيل في البرية وجدوا رجلا يحتطب حطباً في يوم السبت فقدمه الذين وجدوه يحتطب حطباً إلى موسى وهرون وكل الجماعة فوضعوه في المحرس لأنه لم يعلن ماذا يفعل به . فقال الرب لموسى قتلاً يقتل الرجل . يرميه بحجارة كل الجماعة خارج المحلة . فأخرج كل الجماعة إلى خارج ورجموه بحجارة فمات كما أمر الرب موسى » .

عدد ١٥ : ٣٢ - ٣٦

وهكذا نجد موسى ، وهو الذي اغتفر لهرن ما صنع من جمع الذهب المسروق من مصر وصياغته عجلاً ذهباً بنى له مذبحاً وأمر العشيرة أن تسوق إليه ذبائحها ، نجده لم تداخل قلبه الرحمة . بذلك المسكين ، وهو إنما أتى عملاً لم يكن قد حدد لمقترفه عقاب معلوم ، فأفنى بقتله رجلاً ، ولما استحال هذا الذي كان قبلاً رجلاً كتلة لاشكل لها من اللحم المهرأ ، عن الشرع الكبير أن يخاط الجدد بالهزل ، فأمر القوم رجلاً ونساء أن يضعوا في أذيال ثيابهم أهداباً (شراريب) وشرائط زرقاء اللون .

« وكلم الرب موسى قائلاً . كلم بني إسرائيل وقل لهم أن يصنعوا لهم أهداباً في أذيال ثيابهم في أجيالهم ويجعلوا على هدب الذيل عصاة من أسيانجوني .

عدد ١٥ : ٢٧ - ٢٨

وحدث ذات يوم أن :

« ابتداء الشعب يزفون مع بنات موآب . . . فقال الرب لموسى خذ جميع رؤوس الشعب وعلقهم للرب مقابل الشمس فيرتدحهم غضب الرب عن إسرائيل . فقال موسى لقضاة إسرائيل اقتلوا كل واحد قومه المتعلقين ببعل فغور » .

عدد ٢٥ : ١ - ٥

الخ الخ .

*

يحصى اليهود أسماء كبار أعدائهم الذين أمعنوا في التشكيل بهم على مر الزمان ، فيذكرون :

١ - سرجون الثامى ملك أشور ، فقد دهم في سنة ٧٢٢ ق. م المملكة الشمالية لإسرائيل بجحافله واستولى على حاضرتها « السامرة » ونفى من أهلها ألوفا لم يقيض لهم الاحتفاظ بشخصات قوميتهم فتفانوا في غيرهم .

٢ - نبوخذ نصر (يختصر) ملك الكلدان وقد غلب المملكة الجنوبية يهوذا على أمرها وافتتح حاضرتها أورشليم (١) سنة ٥٨٦ ق. م فأخرب ربوعها ونقض هيكل سليمان بها وسبى من أهلها ألوفا نقلهم

(١) وهى بيت المقدس ، ويذهب كثير من الشراح إلى أنها هى المعنية بالآية « أو كالدى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أتى يحيى هذه الله بعد موتها ... »

البقرة ٢٥٨

إلى بلاده ليسخرهم في العمل هناك (١) .

٣ — قسطنطين الأول (الأكبر) الإمبراطور الروماني ، نقل عاصمته في سنة ٣٣٠ م إلى بيزنطة وأسمّاها القسطنطينية وتوفي سنة ٣٣٧ م . اصطنع في توطيد دعائم المسيحية أنكر الجرائم واستعان أكثر الوسائل اصطفاً بالدم ، وقد حظر الزواج بين اليهود والمسيحيين وجعل القتل عقاباً لمن يتهود من المسيحيين .

*

هاجر أولئك الإسرائيليون من مصر ومضوا يضربون في شعاب سيناء عاماً إثر عام باقداً كليلة وسحى كوالح وهم فاقدو الأمل ، تريبهم من زعيمهم أمورشى عدد المؤرخ اليهودى الكبير يوسفوس (المتوفى سنة ١٣٠ م تقريباً) طرفاً منها ، فكان من ذلك :

١ — أنه وعدهم بأن يقودهم إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً ، فلما

(١) ولبنوا هناك زهاء نصف قرن خبروا فيه من ضروب التقدم الحضارى وشاهدوا من أشكال العبادات ما لم يعهدوه في بلادهم من قبل ، ثم إن قورش الكبير ملك فارس غزا ملكة بابل في سنة ٥٣٨ ق.م وأطلق من كات بهما من أسرى اليهود وأمر بإعادة بناء الهيكل المنقوض ، ولهذا نجد النبي اليهودى أشعيا يجد هذا الملك الوثني ويلقبه بمسيح الرب .

« هكذا يقول الرب لمسيحه كيروش »

أشعيا : ١

وكان الأخرى باليهود أن يذكروا في مقدمة هؤلاء جميعاً أسم زعيمهم موسى ، فقد زج بهم جميعاً في جحيم دنيوية في وقت لم تكن الجحيم الأخروية قد عرفت فيه بعد .

أسلوه مقادهم لم يصدقهم ما وعد وتيههم في فلاة مضلة غطشاء (١) لا يهتدون إلى سبيل الخروج منها .

٢ — وأنه جعل يسوسهم بالصرامة والقساوة ويشتط في العنف بمن يخالف عن أمره ، ولو في التافه ، ولا يرحم من يأتى منه هينة على حين هو يعتمد للوزورين (٢) من أهله أخش الخطايا وأنكر الآثام .

٣ — أنه أمن في ضرب الضرائب وفرض الفرائض عليهم ، وجعل يشرع الشرائع ويسن القوانين لا يتراز أموالهم . وما أنفك يستحشهم باسم الرب على الإسراع في تقديم بواكير ما يجنون من ثمار وما يعصرون من خمر .

ولا تؤخر ملء بيدرك وقطر معصرتك وأبكار بنبك تعطيني ، (٣) ويتهدد المتخلفين عن أداء الضرائب بأن يفشى فيهم الأوبئة ويسلط عليهم الطواغين فيتخرمهم الموت الزؤام (٤) .

« يعطون كل واحد فدية عن نفسه للرب عندما تعدهم لئلا يصير فيهم وبأعدما تعدهم » .

خروج ٣٠ : ١٢

(١) غطش البصر : ضعف و — الأبل : أظلم ، ويقال فلاة غطشى وغطشاء : مظلمة غمة التي لا يهتدى فيها لطريق .

(٢) غش الشيء : ستره وغطاه ، غمده : ستر ما كان منه وغطى عيوبه ، تعدد : ستر ما كان منه وغطى عيوبه ، الوزور : المرتكب الإثم .

(٣) الترجمة سقيمه وتصويبها هو :

« لا تتوان في تقديم باكورة ما ينضج من ثمارك وما تعصر من خورك وأسلم إلى بكر أبنائك .

(٤) الزؤام : العاجل .

وكانت التقاليد قبله تجعل الإشراف على مناسك العبادة من حق البطارقة العبرانيين وآباء الأسر الكبيرة فألغى موسى هذا التقليد وجعل ذلك الإشراف وقفاً على كهنة مختصين، ثم اصطفى للكهنة أخاه هرون وأولاده وحفدته من بعدهم وعين لهم الارزاق الموفرة يؤديها إليهم أفراد الرعية صاغرين وسجل ذلك في توراته فريضة مفروضة أبداً لأسرته على رعيته .

• فتأخذ خمسة شواقل لسكل رأس على شافل القدس (١) تأخذها .
وأعطى موسى فضة الفداء لهرون وبنيه حسب قول الرب كما أمر الرب موسى .
عدد ٣ : ٤٧ — ٥١

ثم خطا الخطوة الأخيرة فزعم أن الرب يهوه قد نزل عن جميع معانمة للأسرة الموسوية وأقربائها بنى لاوى .

• وقال الرب لهرون . . . هذا يكون لك من قدس الأقداس من النار كل قرابينهم مع كل تقدماتهم وكل ذبائح خطاياهم وكل ذبائح آثامهم التي يردونها إلى . قدس أقداس هي لك ولبنيك . كل دسم المسطار (٢) والحنطة أبكارهن التي يعطونها للرب لك أعطيتهما . أبكار كل ما في أرضهم التي يقدمونها للرب لك تكون . . كل فاتح رحم من كل جسد يقدمونه للرب من الناس ومن البهائم يكون لك غير أنك تقبل فداءه وفداؤه من ابن شهر تقبله حسب تقويمك

(١) من الواضح أن هذا الكلام لم يوح به في سيناء كما يزعمون وإنما كتبه أحرار اليهود بعد بضعة قرون فإن القدس لم تفتح إلا في عهد داود أى بعد موسى بأكثر من ٤ قرون .

(٢) يقصد أن يقول كل ما كان ممتازاً من الحبوب .

فضة خمسة شواقل على شافل القدس . . . جميع رفائع الأقداس التي يرفعها بنو إسرائيل للرب أعطيتهما لك ولبنيك وبناتك مما حقاً دهرى . ميثاق ملح دهرى أمام الرب لك ولزرك معاً . . . وأما بنو لاوى فإنى قد أعطيتهم . كل عشر في إسرائيل ميراثاً عوض خدمتهم التي يخدمونها خدمة خيمته الاجتماع . . . لأن عشور بنى إسرائيل التي رفعونها للرب ربيعة قد أعطيتهما لللاويين نصيباً •

عدد ١٨ : ٨ — ٢٤

اللعبة واضحة لا يحتاج تمييزها إلى حديد ذكاء .

٤ — أنه خلص آنية الذهب والفضة وغيرها بما جمع عند تدشين المذبح ، وإليك بياناً ببعض ما جمعه فلما افتقدوه لم يجدوه .

« هذا تدشين المذبح يوم مسحه من رؤساء إسرائيل . أطباق فضة اثنا عشر ومناضخ فضة اثنتا عشرة وصحون ذهب اثنا عشر . كل طبق مئة وثلاثون شافل فضة وكل منضحة سبعون . جميع فضة الآنية ألفان وأربع مئة على شافل القدس . وصحون الذهب اثنا عشر مملوءة بخوراً كل صحن عشرة على شافل القدس . جميع ذهب الصحون مئة وعشرون شافلاً . كل الثيران المحرقة اثنا عشر ثوراً والكباش اثنا عشر مع تقدمتها وتيوس المعز اثنا عشر لذبيحة الخطية . وكل الثيران لذبيحة السلامة أربعة وعشرون ثوراً والكباش ستون والتيوس ستون والخراف الحولية ستون . هذا تدشين المذبح بعد مسحه . »

عدد ٧ : ٨٤ — ٨٨

٥ — أن أخاه اختزل الذهب الذى جمعه لصنع العجل ، ثم طحنه موسى وذره ، كله أو بعضاً منه على وجه الماء .

٦ — أنه ظفر بالسلطان في نهضة ثم شرع يرسخ دعائمه ويضع من ضروب التشريع ما يكفل له استدامة هذا السلطان في بيته أبد الدهر ، وجعل منصب السكينة العظمى طعمة لأخيه ولذريته من بعده وهو أعظم مناصب تلك الحكومة الدينية جهاها وأدراها رزقا .

وقد أرجع القوم كل ما حل بهم من النكبات إلى استئثار موسى بالسلطان ، وبدءوا يتألبون عليه وعلى أخيه هرون .

« وقالوا لهما كفا . إن كل الجماعة بأسرها مقدسة وفي وسطها الرب . فما بالسكا ترفعان على جماعة الرب »

عدد ١٦ : ٣

وأحس موسى بالغيوم تنعقد فوق رأسه ، فبعث إلى بعض أصفياه وخلصانه يلبس منهم نجدة . ولكنهم لم يخفوا له .

« فأرسل موسى ليدعو داثان وأبيرام ابني اليساب . فقالا لا نصعد . أقليل أنك أصددتنا من أرض تفيض لنا وعسلا لثيمتنا في البرية حتى تترأس علينا ترؤسا (٢) ؟ كذلك لم تأت بنا إلى أرض تفيض لنا وعسلا ولا أعطيتنا نصيب حقول وكروم . هل تطلع أعين هؤلاء القوم ؟ لا نصعد . فاغتاظ موسى جدا وقال للرب لا تلتفت إلى تقدمتهما .

(١) الترجمة الصحيحة هي :

لثقتنا في البرية ما لم تتأمر علينا .

(٢) ولم تكن تلك أول مرة يلاحظ الإسرائيليون فيها على موسى نزوعه إلى القأمر والبرؤس ، وقبل قال له أحد العبريين في مصر قبل فراره منها . « من جعلك رئيساً وقاضياً علينا » .

حاراً واحداً لم آخذ منهم ولا أسأت إلى أحد منهم ،

عدد ١٦ : ١٢ — ١٥

ولكن للسكينة ومن أليهم أساليب ماكرة تسقى لهم التخلص من خصومهم وتصيرهم عبدة لكل من تحدثه النفس باعتراض سبيلهم . وقد هنك موسى بأولئك الأحرار الذين أبوا أن يساموا الخسف وعلى رأسهم قورح ، ثم زعم أن هلاكهم إنما هو معجزة تبرى ساحته وتبرر مسلكه .

« وفتحت الأرض فاهها وابتلعتهم وبيوتهم وكل من كان لقورح مع كل الاموال . فزلوا هم وكل ما كان لهم أحياء إلى الهاوية وانطبقت عليهم الأرض فبادوا من بين الجماعة . وكل إسرائيل الذين حولهم هربوا من صوتهم لأنهم قالوا لعل الأرض تبتلعنا . وخرجت نار من عند الرب وأكلت المشتين والخمسين رجلا ،

عدد ١٦ : ٣٢ — ٣٥

وقد أوغرت هذه المذبحة الزهينة صدور القوم على هذا الحاكم بأمره وأججت نار الفتنة بينهم والبثهم عليه فوقفوا في وجهه صفا واحدا وجهوه بتهمة القتل .

« فتذمر كل جماعة بني إسرائيل في الغد على موسى وهرون قائلين : أنتم قد قتلتما شعب الرب ،

عدد ١٦ : ٤١

ولم ينقذه هو وأخاه من براثنهم سوى وباء تفشاهم واخترم الكثير منهم ، سيان من عصي ومن أطاع .

« فكان الذين ماتوا بالوبأ أربعة عشر ألفا وسبع مئة عدا الذين ماتوا بسبب قورح »

عدد ١٦ : ٤٩

وهنا أعلن النبيان الشتميقان بهذه المعجزة الجديدة معتزين : لقد اقتص لهما يهوه .

*

أما الفظائع الموسوية في الحروب فأجل من أن تقاس بها فظائع الذين حوكموا في نورمبرج من مجرى الحرب العالمية الثانية . استمع إلى نبي الإله اليهودي كيف يصف في لزهدهاء حربه على سيحون ملك الأموريين وكان مقياً ببلدة حشبون .

« فدفعه الرب إلحنا أمانا فضر بناه وبنيه وجميع قومه وأخذنا كل مدنه في ذلك الوقت وحرّمنا من كل مدينة الرجال والنساء والأطفال . لم نبق شاردة . لكن البهائم نهبناها لأنفسنا »

تفنية ٢ : ٣٣ - ٣٥

ثم استمع إليه يسرد أحداث حربه على باشان وملكها عوج

« فضر بناه حتى لم يبق له شارد وأخذنا كل مدنه . . . فخرّمناها كما فعلنا بسيحون ملك حشبون محرمين كل مدينة الرجال والنساء والأطفال . لكن كل البهائم وغنيمه المدن نهبناها لأنفسنا . وأخذنا في ذلك الوقت من يد ملكي الأموريين الأرض التي في عبر الأردن من وادي أرنون إلى جبل حرمون . . . إن عوج ملك باشان وحده

بقي من بقية الرفائدين (١) . هوذا سريره سريير من حديد . أليس هو في ربة بن عمون (٢) طوله تسع أذرع وعرضه أربع أذرع بذراع رجله .

تفنية ٣ : ٣ - ١١

وتأهب لغزو كنعان :

« فنذر إسرائيل نذرا للرب وقال إن دفعت هؤلاء القوم إلى يدي أحرم مدنيهم . فسمع الرب لقول إسرائيل ودفع الكنعانيين فخرمهم ومدنيهم فدعى اسم المسكان حُرمه ، (٣) .

عدد ٢١ : ٢ - ٣

(١) يقابلها في الإنجليزية giants أى الجبابرة . ومن هنا نستبين مصدر الأساطير والقصص الشعبية تصف في غلو طول عوج بن عنق فترعم أنه كان يحتوي عرض البحر بين قدميه فيقبض على السمكة بيده ويشويها في عين الشمس . (٢) هي حاضرة العمونيين في ذلك الزمان وحاضرة الأردن في الوقت الحاضر وتعرف باسم عمان .

(٣) أراد واضع التوراة تسويغ حربهم على الكنعانيين وتبرير ما ارتكبهوا فيها من تقتيل وتجريق ونخاسة فاخترعوا قصة ذلوا بها أسطورة الطوفان ، خواها أن نوحاً عمداً بعد انحسار الطوفان إلى زرع بستان من الكروم ، فلما أبتغ العنب عصره خمرأ وشرب فأفرط . .

« فسكرو وتعري داخل خبائه . فأبصر حام أبوكنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجاً . فأخذ سام وياث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى وراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى وراء فلم يبعصرا عورة أبيهما . فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنة الصغير . فقال ملعون كنعان . عبد العبيد يكون لإخوته .

تكوين ٩ : ٢١ - ٢٧

وأرسل موسى جنوده على أهل مدين (١) يغزونهم في أعقار بيوتهم ويقوضونها على رؤسهم .

« وقتلوا كل ذكر وملوك مديان قتلوه فوق قتلهم . خمسة ملوك مديان . وبلعام (٢) بن بعور قتلوه بالسيف . وسبي بنو إسرائيل فساء مديان وأطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم . . . وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم . وأتوا إلى موسى وألمازار الكاهن وإلى جماعة بني إسرائيل بالسبي والنهب والغنيمة إلى المحلة . »

عدد ٣١ : ٧ - ١٢

لقد ذبحوا من أهل مدين قرابة ٥٠,٠٠٠ نفس (٣) .

(١) هم ، فيما يزعمون ، ذرية مديان بن إبراهيم فهم من أدنى أقرباء بني إسرائيل ، وهم الذين آووا موسى عندما لجأ إليهم بعد فعلته التي فعلها بقتله أحد المصريين الذين آووه قبلهم ، فقد نشأ بين المصريين ونعم بالعيش الطيب في قصر فرعون ، ثم هجر مصر إلى مدين حيث أمضى فيها زمناً آخر ثم رجع إلى مصر يهوى إليها بضرباته البشعة ثم وجم إلى مدين ليفشى فيها الموت والدمار ، فقد جاءت الآت نونهم ليتلقوا اعتراف موسى بالجليل .

(٢) ويدعى في القرآن الكريم لقمان (لقم = بلع) وهو من أنبياء اللوآبيين الوثنيين الذين طامس بنو إسرائيل الحرب عليهم . دعاه بالاق ملك موآب ليلمن له بني إسرائيل الزاحفين على بلاده فأبى وباركهم بين يديه ، بيد أن الإسرائيليين لم يذكروا له هذا الجليل وقتلوه بالسيف .

وقد ذاعت شهرة الحوار الطريف الذي دار بين بلعام وأنانة . وجاكاه بعض المسلمين فلقوا حديثاً زعموا أنه جرى بين النبي محمد ص وخروف مسموم قدمه له يهود خيبر .

(٣) مع أن خسائر بريطانيا العظمى في معركة وآرلوم تزد على ١٧٢٢ رجلاً .

وسبوا ضعفي هذا العدد وغنموا نحو ٨٠٠,٠٠٠ رأس من ذوات الأربع ، ولكن تلك الآلاف الكثيرة من الجثث المتناثرة في حومة الوغى لم تشف قرم (١) موسى وتمطشة إلى الدماء (٢) .

« فسخط موسى على وكلاء الجيش رؤساء الآلاف ورؤساء المئات المتغامدين من جند الحرب . وقال لهم موسى هل أبقيتم كل أنثى حية . . . فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال . وكل امرأة عرفت رجلاً عضاً جمعة ذكر اقتلواها . »

عدد ٣١ : ١٤ - ١٧

أما العذارى ، فقد استحياهن ليحتضن قذلة آبائهن وإخوتهن .

« وكان النهب فضلة الغنيمة التي اغتنتها رجال الجند من الغنم ستة حئة وخمسة وسبعين ألفاً . ومن البقر اثنين وسبعين ألفاً . ومن الحمير واحداً وستين ألفاً ، ومن نفوس الناس من النساء اللواتي لم يعرفن حضاً جمعة ذكر جميع النفوس اثنين وثلاثين ألفاً . ونفوس الناس ستة عشر ألفاً وزكاتها للرب اثنين وثلاثين نفساً فأعطى موسى الزكاة ورفيعة الرب لألمازار الكاهن كما أمر الرب موسى ،

عدد ٣١ : ٣٢ - ٤١

(١) قرم الرجل إلى اللحم : اشتدت شهوته .

(٢) وقد نسي كاتب سفر القضاة أن زميله كاتب سفر العدد أباه للديانين موأفانم عن بكرة أبيهم ، فسلطهم — بعدما اخترعهم الموت — على الإسرائيليين لأن هؤلاء لم يحسنوا سيرتهم ويزعنوا لأوامر الكهنة .

« وعمل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب فدفنهم الرب ليد مديان سبع سنين طاعتت يد مديان على إسرائيل . »

قضاة ٦ : ١ - ٢

وهكذا حظى السكنة الفاسقون باثنتين وثلاثين من أجمل العذارى
توزعوه فيما بينهم كما توزعوا البقر ونحوه من غنائم الحرب .
وسن موسى على اليهود سنة إبادة الشعوب المسالمة التي يصادفونها
في طريقهم .

« متى أتى الرب إلى الأرض التي أدنت داخل إليها لتملكها وطرده
شعربا كثيرة من أمامك الحثيين والجرجاشيين والأموريين والسكنانيين
والفرزيين والحويين واليبوسيين سبع شعوب أكثر وأعظم منك
ودفعهم الرب الهك أمامك وضربتهم فإنك تهرمهم . . . ونأكل كل
الشعوب الذين الرب الهك يدفع إليك . لا تشفق عينك عليهم . »

تثنية ٧ : ١-١٦

وقال نفبنا الله برأيه

« حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح فإن
أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك
للتسخير ويستعبد لك . وإن لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها .
وإذا دفعها الرب الهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف .
وأما النساء والأطفال والبهائم وكل مافي المدينة كل غنيمتها فتغنمها
لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب الهك . هكذا تفعل
بجميع المدن البعيدة منك جدا التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا .
وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب الهك نصيباً فلا تستبق
منها نسمة ما بل تحرمها تحريماً . »

تثنية ٢٠ : ١٠-١٧

وجملة القول أنه وضع نصب أعين المقاتلة من بنى إسرائيل هدفين
رئيسيين هما إبادة الشعوب المتاخمة واستعباد ما يليها من الشعوب .
وبذلك تتحول الجيوش اليهودية إلى بعثات للتقتيل والتدمير والاستعباد
والنخاسة ، وكلها أعمال قبيحة كريهة يحرمها ما قرره المواثيق الدولية
للإنسان من حقوق .

موته

قضى الاخوان الزعيمان نجهما في برية سيناء ، فأما منية هرون
هكملت بجبل حور .

فصعد هرون الكاهن إلى جبل حور حسب قول الرب ومات
هناك في السنة الاربعين لخروج بنى اسرائيل من أرض مصر (١) .

عدد ٣٣ : ٢٨

وأما موسى فقد فاضت نفسه في أرض موآب (٢) دون أن يعبر

(١) وفي رواية أخرى أنه مات في موسير

«وبنو اسرائيل ارتحلوا من آبار بنى يعازان إلى موسير . هناك مات هرون وهناك
دفن . فكهن العازار ابنه عوضاً عنه »

تفنية ١٠ : ٦

(٢) نقل الطبري في الجزء الأول من كتابه تاريخ الأمم والملوك عن ...
عن عبد الله مسعود وعن ناس من أصحاب النبي أنهم قالوا :

أوحى الله تبارك وتعالى إلى موسى إلى متوف هارون فأت به جبل كذا وكذا
خاطلق موسى وهارون نحو ذلك الجبل فإذا هما بشجرة لم ير مثلها وإذا هما ببيت
حبي وإذا هما قبة بسرير عليه فرش وإذا ربيع طيبة ، فلما نظر هارون إلى ذلك
الجبل والبيت وما فيه أعجبه فقال يا موسى إلى لأحب أن أنام على هذا السرير ،
قال له موسى : قم عليه . قال إلى أخاب أن يأتي رب هذا البيت فيغضب علي . قال
له موسى لا ترهب . أنا أكفيك رب هذا البيت قم . قال يا موسى بل تم معي فإن
جاء رب البيت غضب علي ومليك جميعاً . فلما ناما أخذ هارون الموت فلما وجد =

= حسه قال يا موسى خذ عني . فلما قبض رفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع
السرير إلى السماء فلما رجم موسى إلى بنى اسرائيل وليس به هارون قالوا إن
موسى قتله وحسده لب بنى اسرائيل له ، وكان هارون أكف عنهم وألين لهم
من موسى وكان في موسى بعض الغلظ عليهم ، فلما بلغه ذلك قال لهم ويحكم كان
أخي أقتروني أقتله ، فلما أكثروا عليه قام فصلى ركعتين ثم دعا الله فنزل بالسرير
حتى نظروا إليه بين السماء والأرض فصدقوه .

ثم إن موسى بينما هو يتمشى ويوشع فتاه إذ أقبلت ربيع سوداء فلما نظر إليها
يوشع ظن أنها الساعة والتزم موسى وقال تقوم الساعة وأنا ملتزم موسى نبي الله
فاستل موسى من تحت القميص وترك القميص في يد يوشع ، فلما جاء يوشع
بالقميص أخذته بنو اسرائيل وقالوا قتلت نبي الله . قال لا والله ما قتلته ولكنه استل
مني فلم يصدقوه وأرادوا قتله ، قال فإذا لم تصدقوني فأخروني ثلاثة أيام فدعا الله
فأتى كل رجل بمن كان يحرسه في المنام فأخبر أن يوشع لم يقتل موسى وأنا قد
رفعتاه لينا فتركوه .

ونقل (الطبري) عن عن ... عن أبي هريرة أنه قال :

قال رسول الله ص . إن ملك الموت كان يأتي الناس عياناً حتى أتى موسى فلطمه
ففقأ عينيه قال فرجع فقال يارب إن عبدك موسى فقأ عينيه ولولا كرامته عليك لشققت
عليه فقال أمت عبدى موسى فقل له فليضع كفه على متن ثور فله بكل شعرة وارت
يده سنة . خيره بين ذلك وبين أن يموت الآن . قال فأناه فخيرته فقال له موسى
فما بعد ذلك قال الموت قال فالآن إذن . قال فشحه قبض روحه . قال فجاء بعد ذلك
إلى الناس خفياً .

ونقل عن عن ... عن ابن اسحاق أنه قال :

كان موسى صني الله قد كره الموت وأعظمه ، فلما كرهه أراد الله تعالى أن يحب إليه
الموت ويكره إليه الحياة فخرت النبوة إلى يوشع بن نون فكان يغدو عليه ويروح
فيقول له موسى : يا نبي الله ، ما أحدث الله إليك ، فيقول له يوشع بن نون يا نبي
الله ألم أصعبك كذا وكذا سنة ، فهل كنت أسألك عن شيء مما أحدث الله إليك
حتى تكون أنت الذي تتبدى به وتذكره فعلا تذكر شيئاً . فلما رأى موسى
ذلك كره الحياة وأحب الموت .

الأردن إلى الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً ، فقد أبى الله عليه ذلك إذ كان ينقم منه ما بدا على بني إسرائيل من قلق خلال تجوالهم على غير هدى وما أعربوا عنه من ضيق بقلة الغذاء ومن عوز إلى الكساء وتذمرهم من الحالة التي كانوا عليها بوجه عام .

« ولكن في هذا الأمر لستم واثقين بالرب الهكم . السائر أمامكم في الطريق ليلتمس لكم مكاناً لنزولكم في نار ليلاً ليرىكم الطريق التي تسرون فيها وفي سحاب نهارة . وسمع الرب صوت كلامكم فسخط وأقسم قائلاً . لن يرى إنسان من هؤلاء الناس من هذا الجيل الشرير الأرض الجيدة التي أقسمت أن أعطيها آبائكم . ما عدا كالب بن يفتة . هو يراها وله أعطى الأرض التي وطئها ولبنيه لأنه قد اتبع الرب تماماً . وعلى أيضاً غضب الرب بسببكم قائلاً وأنت أيضاً لا تدخل إلى هناك . يشوع بن نون الواقف أمامك هو يدخل إلى هناك شدة لأنه هو يقسمها لإسرائيل (١) »

تثنية ١ : ٣٢ - ٣٨

= وقال الشهرستاني في كتابه « الملل والنحل » يتحدث عن فكرة « الرجعة » عند اليهود :

وأما جواز الرجعة فإنما وقع لهم في أمرين ، أحدهما حديث عزيز إذ أماته الله مائة عام ثم بعته ، والثاني حديث هارون عليه السلام إذا مات في التيه وقد نسبوا موسى إلى قتله ، قالوا حسده لأن اليهود كانت إليه أميل منهم إلى موسى . واختلفوا في حال موته ، فمنهم من قال مات وسيرجج ومنهم من قال غاب وسيرجج .

(١) بيد أن ثمة رواية أخرى تقول إن مبعث غضب يهوه على موسى هو أنه غفل عن أن يقس الرب بالماء .

http://ketob.has.it الرب لموسى اصعد إلى جبل عبارم هذا وانظر الأرض التي أعطيت =

.

= بني إسرائيل - ومتى نظرتها تضم إلى قومك أنت أيضاً كما ضم هرون أخوك لأنكما في بركة صين عند محاصرة الجماعة عصيتما قولي أن تقدسانى بالماء أمام أعينهم .
وقد أشير إلى هذه الحادثة قبل ذلك في قولهم

« وكلم الرب موسى قائلاً خذ العصا واجمع الجماعة أنت وهرون أخوك وكلما الصخرة أمام أعينهم أن تعطى ماءها فتخرج لهم ماء من الصخرة وتسقى الجماعة ومواشيهم . فأخذ موسى العصا من أمام الرب كما أمره . وجمع موسى وهرون الجمهر أمام الصخرة فقال لهم اسمعوا أيها المردة . أمن هذه الصخرة نخرج لكم ماء . ورفع موسى يده وضرب الصخرة بعصاه مرتين فخرج ماء غزير فشربت الجماعة ومواشيها : فقال الرب لموسى وهرون من أجل أنكما لم تؤمننا بي حتى تقدسانى أمام أعين بني إسرائيل لذلك لا تدخلان هذه الجماعة إلى الأرض التي أعطيتهم إياها . »

عدد ٢٠ : ٧ - ١٢

ونلاحظ هنا

- ١ - أن تلك الجماعة التي كان يتحدث إليها والتي استطاع أن يسقيها هي ومواشيها يضربها عصا يبلغ عددها ٣٠٠٠٠٠٠ ر.
- ٢ - أنه أخذ العصا من أمام الرب .
- ٣ - أن خطأه هنا هو - فيما يبدو - أنه قرع الصخرة وتقم بالفاظ غير محفورة دلاً من أن يقتصر على أن يأمر الصخرة باسم الرب أن تنفجر ماء .

= عثنيشيل قتل ملك أرام (سوريا)

« واستراحت الأرض أربعين سنة »

قضاة ٣ : ١١

وفتك جدهون بأهل مدين

« واستراحت الأرض أربعين سنة في أيام جدعون »

قضاة ٨ : ٢٨

واغتال أهود عجولون ملك موآب وأتبع ذلك بحمالة شعواء على الموآبيين فأهلك

منهم ١٠٠٠ رجل

« واستراحت الأرض ثمانين سنة »

قضاة ٣ : ٣٠

أى ٤٠ × ٢

وأذل الفلسطينيون بني إسرائيل بعد موت يفتاح الجلعادى ومن تبعوه

« وساموهم الحسف أربعين سنة حتى خلاصهم شمشون . ثم عاد بنو إسرائيل يعملون

الشر في عيني الرب فدفعهم الرب ليد الفلسطينيين أربعين سنة » .

قضاة ١٣ : ١

هذا ، وقد لفظ على أنفاسه عندما تناهت إليه أنباء الهزيمة التي حاقت بقومه
ومى التي بلغ من فداحتها أن الأعداء استولوا على تابوت الله . وكان موته (عالي)
بعد أن

« قضى لإسرائيل ٤٠ سنة » .

١ صموئيل ٤ : ١٨

وسم بنو إسرائيل حكم القضاة واستشرء الفساد على عهدهم

« ومن ثم طلبوا ملكاً فأعطاهم الله شاول بن قيس رجلاً من سبط بنيامين

أربعين سنة » .

أعمال الرسل ١٣ : ٢١

وخلفه أبنة لإيشبوش

« وكان لإيشبوش بن شاول ابن أربعين سنة حين ملك على إسرائيل »

٢ صموئيل ٢ : ١٠ =

الرقم ٤٠

وقد عمر موسى حتى استتم له من العمر مئة وعشرون سنة . وتنقسم
حياته ثلاث مراحل دامت كل منها ٤٠ سنة (١) بالتام والكمال .

(١) أكثر الكتاب المقدس من استعمال رقم ٤٠ فنجد نجد في قصة الطوفان —

مثلاً — أنه .

« كان المطر على الأرض أربعين يوماً وأربعين ليلة » .

تكوين ٧ : ١٢

« وكان الطوفان أربعين يوماً على الأرض »

تكوين ٧ : ١٧

« وحدث من بعد أربعين يوماً أن نوحاً فتح طافة الفلك التي كان قد عملها » .

تكوين ٨ : ٦

ونجد في قصة خروج اليهود من مصر أن موسى ضل هو وقومه في صحراء
سيناء ٤٠ عاماً لم يذوقوا خلاصاً غير المن

(خروج ١٦ : ٣٥)

وأنه صعد في الجبل حيث لبث ٤٠ نهراً و ٤٠ ليلة

(خروج ٢٤ : ١٨)

ولبث وقته أجمع طاوياً يصيب لقمة من طعام ولا حسوة من شراب

(تثنية ٩ : ٩)

وكرر ذلك بعد كسره اللوحين الإلهيين بأن صام ٤٠ يوماً أخرى

(تثنية ٩ : ١٨)

ونجد ، عندما نطالع سير القضاة ، الذين حكموا بني إسرائيل وخلصوهم من

.

== ونازعه داود على الملك وفاز به

« كان داود ابن ثلاثين سنة حين ملك وملك أربعين سنة »

٢ صموئيل ٥ : ٤

وشن داود الحرب على أرام (سوريا) وأخضع فيهم قتلا .

« وقتل داود من أرام سبع مئة مركبة وأربعين ألف فارس »

٢ صموئيل ١٠ : ١٨

أو في رواية أخرى

« وقتل داود من أرام سبعة آلاف مركبة وأربعين ألف راجل »

١ أخبار الأيام ١٩ : ١٨

وملك سليمان مثل المدة التي تسلم فيها والده العرش

« وكانت الأيام التي ملك فيها سليمان في أورشليم على كل إسرائيل أربعين سنة »

١ ملوك ١١ : ٤٢

وكان جلالة يفاى في اقتناء الجياد القارحة .

« وكان لسليمان أربعون ألف مذود لحيل مركباته وأثنا عشر ألف فارس »

١ ملوك ٤ : ٢٦

ويرى كتاب أخبار الأيام أن عدد المذاود هذا لا يتناسب وعدد الفرسان ،

ولذلك كتبوا :

« وكان لسليمان أربعة آلاف مذود خيل ومركبات وأثنا عشر ألف فارس »

٢ أخبار ٩ : ٢٥

وهرب النبي إيليا (الذي ارتفع إلى السماء حيا) من إسرائيل ميمما صوب سيناء

دون أن يحتقب معه زادا يتبلغ به في الطريق

« ثم عاد ملاك الرب ثانية فسه وقال قم وكل لأن المسافة كثيرة عليك . فقسام

وأكل وشرب وسار بقوة تلك الأكلة أربعين نهراً وأربعين ليلة إلى جبل الله

حوريب » .

١ ملوك ١٩ : ٧ - ٨

ويتقصى سفر الملوك نبأ الذين تعاونوا سرير الملك في مملكة يهوذا ، فيقول : =

المرحلة الأولى : تنفشته في كنف فرعون واستبصاره في مبادئ
فلسفة التوحيد وإمامه بنظام الكهانة وفنون الشعوذة والسحر . وقد
انتهت تلك المرحلة بقتله أحد المصريين الاقحاح وفراره إلى مدين .

المرحلة الثانية : لجوءه إلى مدين وإصهاره إلى كاهنها الأكبر
وارتداده إلى دين أجداده ، وإعدادة نفسه للرعاة الدينية (النبوة) .
وقد انتهت تلك المرحلة بعودته إلى مصر وإزالة الضربات المتتالية
بأهلها الوادعين .

المرحلة الثالثة : مرحلة التيه في سيناء ، وفيها اختص أسرته
وذرائها بالكهانة وما تسبغه الكهانة من جاه وما تبقى من أسلاب .
وقد مجرد نفسه طوال تلك السنين لاستئصال شأفة الأحرار الذين
ضاقوا ذرعاً بمسلكه . وقد انتهت تلك المرحلة بانتهاء حياته في تلك
القفلة القاحلة مضطرباً عليه من إلهه وشعبه .

== « في السنة السابعة لياهو ملك يهوآش . ملك أربعين سنة في أورشليم »

٢ ملوك ١٢ : ١

وهلم جرا . ولا يخلو « العهد الجديد أيضاً من مواطن يستعمل فيها الرقم ٤٠

ومن ذلك حديثه في تجربة الشيطان ليسوع المسيح ، فقد لبث يسوع ٤٠ يوماً

و ٤٠ ليلة يتأهب لاجتياز هذه التجربة بنجاح

« فبعد ما صام أربعين نهراً وأربعين ليلة جاع أخيراً »

متى ٤ : ٢

ودامت التجربة ٤٠ يوماً

« وكان هناك في البرية أربعين يوماً يجرب من الشيطان »

مرقس ١ : ١٣

كان موسى في حياته مثالا نموذجيا للإله الكاهن الساحر (١).
 ودفنى غضب الرب على موسى وقال أليس هرون اللاوى أخاك -
 أنا أعلم أنه هو يتكلم ... وهو يكون لك فبا وأنت تكون له إلها -
 خروج ٤ : ١٤ - ١٦

ومات موسى فواراه يهوه التراب بيديه القدسيين ، واشتجر نزاع
 بين رئيس الملائكة ورئيس الشياطين ، كل منهما يريد أن يتسلم جثثانه
 « وأما ميخائيل رئيس الملائكة فلما خاصم لمبليس محاجا عن جسد
 موسى لم يجسر أن يورد حكم افتراء بل قال ليتنهرك الرب » .
 يهوذا (٢) : ٩ .

(١) كان السحرة في بعض الأعصر الفائرة لا يفتعون بأن يكونوا ملوكا بل يدعون
 الألوهية أيضاً ، وكانت شعوبهم تتوقع منهم المعجزات وتزرو لآلهم كل ما يصيبهم
 من خير ، فهم الذين يستدرون المطر ويفشون الغلات في الحقول وبعدون الجيوش
 بالنصر ، أما إذا استشرى الجفاف أو أوف الزرع أو هزم الجيش فإن الساحر
 يلقي تبة ذلك على الرعية ويجازيها على معصيتها للإله بإيقاع العقوبات البدنية والمفارج
 المالية ، فيفرض عليها الصيام الطويل والتضحيات الوافرة تكفيراً عما جنت أيديهما .
 لقد كان الرعيل الأول من ملوك بابل يدعون الألوهية ، فكانت المعابد تقام
 لتجديد أشخاصهم وهم بعد أحياء . وكانت الأضحيات تقرب لهم بين أيديهم .
 وكذلك كان الأمر في مصر ، وقد خبر موسى ذلك بنفسه . وكان ملوك المكسيك
 يقسمون عند تبوئهم العرش أن يجعلوا الشمس تشرق والسحب تطر والأنهار تفيض
 والأرض تجود بالغلات .

(٢) يهوذا هي إحدى رسائل « العهد الجديد » . ولم يرد لقصة النزاع بين
 رئيس الملائكة ورئيس الشياطين ذكر في « العهد القديم » لأن بني إسرائيل لم يكونوا
 يؤمنون بالثواب والعقاب في يوم آخر ، ولم يتراق إلى مسامعهم شيء مما يقال في
 موضوع الجنة والنار والملائكة والشياطين إلا قبل زمن المسيح بوقت يسير .

خليفة موسى

استخلف موسى على عرش الملك ومحراب النبوة خادمه وصديه
 يشوع بن نون .

« وكان بعد موت موسى عبد الرب أن الرب كلم يشوع بن نون
 خادم موسى قائلاً موسى عبدى قد مات . فالآن قم اعبر هذا الأردن
 أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لهم أى لبني
 إسرائيل (١) . كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته كما كلمت
 موسى . من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات جميع أرض
 الحثيين وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم » .

يشوع ١ : ١ - ٤

ولم يضع يشوع الوقت بل بادر إلى إصدار الأمر اليومي :
 « هيا لا أنفسكم زادا لأنكم بعد ثلاثة أيام تعبرون الأردن هذا
 لكي تدخلوا فتمتلكوا الأرض » .

يشوع ١ : ١١

وأنى لهم الزاد وقد امشوا يطعمون المن حتى وطشوا أرض كنعان ،
 وكان من خصائص المن أن يذوب إذا بات وتذهب ريحه سدى .
 على أن يشوع لم يقعد ساكنا هذه الايام الثلاثة ، بل إنه بادر فأرسل

(١) يتضح من هذا الأسلوب أن الله كان يشرح كلامه لنبية خيفة أن يكون
 قد أساء القهم .

عينين من عيونه يتجسسان أرض الموعد . ووقع الديسيان الميمونة
الطالع في مدينة أريحا على بغي محترقة ضمتها إلى مضجعهما .

فذهبا ودخلا بيت امرأة زانية اسمها راحاب واضطجعا هناك .

يشوع ١ : ٢

وقد باعتهما تلك الزانية جسدها ووطنها ودينها ثم يسرت لهما
أن يعودا سالمين (١) .

وحرص يشوع مرة أخرى على ألا يضيع الوقت .

« فبكر يشوع في الغد وارتحلوا من شطيم واتوا إلى الأردن هو
وكل بني إسرائيل وباتوا هناك قبل أن عبروا » .

يشوع ١ : ٣

وأتخذ الرب مكانه على رأس القوى المحاربة ، لم يكن ممتطيا صهوة
جواد ولكن كان قابعا في صندوق . وأغرى الجند باتباع قائدهم مهما

(١) وقد حظيت تلك البغي بتقدير اليهود والمسيحيين على السواء ، لأنها ملأت
بني إسرائيل على قومها من العرب أهل البلاد الأصلاء . وحاول بعضهم أن يرفع من
قدرها ويهون من عارها فتعنتها بأنها أم متوى أى صاحبة فندق ، وهى مهنة لم يكن
لذلك العصر بها عهد ، بل إن اللغة العبرية لم تكن حينئذ تحتوى على لفظ يفيد
هذا المعنى .

وقد زفت راحاب هذه إلى سلمون فولدت له بوغز

« وسلمون ولد بوغز من راحاب »

مق ٥ : ١

وبذلك غدت راحاب (وهى تكتب أحيانا راخاب بالخاء المعجمة) جسدة

ليشوع المسيح .

تكن المخاطر التى تعترض سبيلهم على أن يدعوا بينهم وبينه شقة تربي
على كيلو متر .

ولكن يكون بينكم وبينه مسافة نحو ألف ذراع بالقياس ،

يشوع ٣ : ٤

وعبر يشوع وجنوده نهر الأردن دون أن ينال أحدا منهم بلال ،
ويبدو أن الكهنة أبعدهوا في المسير غير فاطنين إلى أنهم قد نأوا بالرب
إلى مكان لا يتسنى له فيه أن يتصل اتصالا مباشرا بنبية يشوع ، فلم
يكن له مندوحة عن أن يفضى إليه بمشيئته عن يد رسول روحاني يدعو
نفسه « رئيس جند الرب »

« أنا رئيس جند الرب . الآن أتيت . فسقط يشوع على وجهه إلى
الأرض وسجد . وقال له بماذا يسلم سيدي عبده فقال رئيس جند
الرب ليشوع اخلع نعلك من رجلك لأن المكان الذى أنت واقف
عليه مقدس . ففعل يشوع ذلك »

يشوع ٥ : ١٤ — ١٥

وعاد رئيس جند الرب أدراجه بعد أن أبلغ نبي الرب تلك الرسالة
الخطيرة .

وفتح يشوع (١) مدينة حبرون ودمرها بالنار وقتل أهلها هى ولواحق
ومنها قرية دبير .

(١) وفى رواية أخرى أن الذى فتح تلك البلاد إنما هو كالب بن يفته يساعده
عثنيل ابن أخيه .

« وطرده كالب من هناك » أى من حبرون « بنى عناق الثلاثة ... وصعد من —

ثم صعد يشوع وجميع إسرائيل معه من عجلون إلى حبرون وحاربوها وأخذوها وضربوها بحد السيف مع ملكها وكل مدنها وكل نفس بها . لم يبق منها شاردة حسب كل ما فعل بعجلون فخرمها وكل نفس بها . ثم رجع يشوع وكل إسرائيل معه إلى دبير وحاربها . وأخذها مع ملكها وكل مدنها وضربوها بحد السيف وحرموا كل نفس بها . لم يبق شاردة »

يشوع ١٠ : ٣٦ — ٣٩

« وجاء يشوع في ذلك الوقت وقرض العساقين من الجبل من حبرون ومن دبير ومن عتاب ومن جميع جبل يهوذا ومن كل جبل إسرائيل . حرّمهم يشوع مع مدّهم » .

يشوع ١١ : ٢١

وكانت أورشليم أيضاً بين البلاد التي فتحها (١) يشوع .

== هناك إلى سكان دبير وكان اسم دبير قبلا قرية سفر . وقال كالب من يضرب قرية سفر وبأخذها أعطيه عكسة ابنتي امرأة . فأخذها عثيثيل بن قنزاز أخو كالب فأعطاه عكسة ابنته امرأة »

يشوع ١٥ : ١٤ — ١٧

(١) على أنه من الثابت أن اليهود لم يفتحوا تلك البلاد إلا بعد موت يشوع « وكان بعد موت يشوع أن بنى إسرائيل سألوا الرب قائلين من منا يصعد إلى الكنعانيين أولا لمحاربتهم »

قضاة ١ : ١

« وحارب بنو يهوذا أورشليم وأخذوها وضربوها بحد السيف وأشعلوا المدينة بالنار . وبعد ذلك نزل بنو يهوذا لمحاربة الكنعانيين سكان الجبل والجنوب والسهل .

وهؤلاء هم ملوك الأرض الذين ضربهم يشوع وبنو إسرائيل في عبر الأردن غربا . . . ملك أورشليم واحد . ملك حبرون واحد . . . ملك جازر واحد . ملك دبير واحد . .

يشوع ١٢ : ٧ — ١٣

وذكر إقامة بنى يهوذا في أورشليم .

« وأما اليبوسيون الساكنون في أورشليم فلم يتقدر بنو يهوذا على طردهم فسكن اليبوسيون مع بنى يهوذا في أورشليم إلى هذا اليوم » .
يشوع ١٥ : ٦٣

وسار يهوذا على الكنعانيين الساكنين في حبرون . . . وسار من هناك على سكان دبير » .

قضاة ١ : ٨ — ١١

نرى أن يشوع بعد جازر بين البلاد التي ضربها بحد سيفه على حين أن الإسرائيليين لم يقولوا على طرد الكنعانيين الساكنين هناك .
« فلم يطرّدوا الساكنين في جازر . فسكن الكنعانيون في وسط لأفرايم في وسطه في جازر » .

قضاة ١ : ٢٩

لقد استعصت المدينة على بنى إسرائيل ، فلما أصره سليمان إلى فرعون فتحها فرعون وأهداها إلى ابنته لتقدمها إلى زوجها صداقاً (دوطه) .
« وصعد فرعون ملك مصر وأخذ جازر وأحرقها بالنار وقتل الكنعانيين الساكنين في المدينة وأعطاهم مهرا لابنته امرأة سليمان » .

١ ملوك ٩ : ١٦

ومن المعلوم أن بنى يهوذا لم يوطنوا بأورشليم قبل عهد داود فقد كانت داود أول يهودى استولى على أورشليم
« وذهب الملك ورجاله إلى أورشليم إلى اليبوسيين سكان الأرض . فسلّموا داود قائلين لا تدخل إلى هنا ما لم تنزع العميان والمرج . أى لا يدخل داود إلى هنا »
٢ صموئيل ٥ : ٦

وقصارى القول أن يشوع دأب في تخريب البلاد ونهبها على نحو منقطع النظر، حتى إذا ما أتم رسالته الهدامة ثوى في قبره، ولكنه كان رفيقاً بنا كسيده موسى فلم تطوِّع له نفسه أن يتركنا دون أن يزودنا بوصف لمواراته التراب ويدل لنا بحديث في أمر الشيوخ الذين عاشوا بعده .

« وكان بعد هذا الكلام أنه مات يشوع بن نون عبد الرب ابن مئة وعشر سنين فدفنوه في تخم ماسكه في تمنا سارح التي في جبل إفرايم شمالي جبل جاعش . وعبد لإسرائيل الرب كل أيام يشوع وكل أيام الشيوخ الذين طالت أيامهم بعد يشوع والذين عرفوا كل عمل الرب الذي عمله لإسرائيل » .

يشوع ٢٤ : ٢٩ - ٣١

تم الكتاب

مؤلفات ومترجمات * عصام الدين حفى ناصف (١٩٠٠ - ١٩٦٩)

- ١ - النور يضىء في الظلمة (رواية مترجمة عن الألمانية)
تأليف ليوتولستوى / مطبعة التقدم ١٩٢٦
- ٢ - النشوء والارتقاء أو مصير الإنسانية ونشوء المدنية (مترجم عن الألمانية) تأليف هيرمن كلاتش / مطبعة الشباب ١٩٢٧
- ٣ - الزوج الأبدى (رواية مترجمة عن الألمانية)
تأليف دستوفسكى / دار العصور ١٩٣٠
- ٤ - التجديد الاجتماعى - أبحاث في شئون العمال والفلاحين
/ مطبعة السفير بالاسكندرية ١٩٣١
- ٥ - متابعة التجديد الاجتماعى - أبحاث في الاشتراكية وحقوق العمال
/ مطبعة السفير بالاسكندرية ١٩٣١
- ٦ - مبادئ الاشتراكية
/ مطبعة أبو الهول ١٩٣٣
- ٧ - حركة العمال والاشتراكية الديمقراطية (مترجم عن الألمانية)
تأليف باول كامفاير / دار الترقى ١٩٣٣
- ٨ - المسألة الاشتراكية
/ مطبعة أبى الهول ١٩٣٣
- ٩ - البترول - قصة عن كفاح العمال (مترجم عن الإنجليزية)
تأليف ابتون سنكلير / دار الترقى ١٩٣٧

- * ١ - الكتب من ١ - ١٥ نفذت جميعاً ومن ١٦ - ٢٠ توجد بالمكتبات
٢ - الكتب من ٢١ - ٢٤ لا يوجد نسخ منها إطلاقاً وبالتالي لم تتمكن
من إعطاء بيانات عن الناصر أو المطبعة أو سنة صدورهما .
٣ - دور النشر أو المطابع المذكورة ، جميعها بالقاهرة ، وماعدا ذلك المذكور
مكان الطبع أو النشر أمام كل كتاب .

الفهرس

صفحة	
ج	• مقدمة بقلم د. حسن ظاظا
١	١ — تورا موسى
٢	٢ — بين الاسطورية والتاريخية
٦	٣ — استعباد المصريين لبنى إسرائيل
١٧	٤ — بيت العبودية في مصر
٢٦	٥ — موسى الآخر
٣٤	٦ — مولد مخلص اليهود
٤٠	٧ — الهجرة
٤٤	٨ — التنبؤ
٤٤	اسم الله
٤٥	الترجمان
٤٧	المشعوز
٥٢	٩ — المضربات الموسوية العشر
٦٤	١٠ — اليهودى التائه
٦٩	١١ — الرقم ٧
٨١	١٢ — مكالمات الكلم
٩٧	١٣ — الوصايا العشر
١٠٥	١٤ — السفاح
١٢٤	١٥ — موته
١٢٨	١٦ — الرقم ٤٠
١٢٣	١٧ — خليفة موسى
١٢٩	— بيان بمؤلفات و مترجمات (المؤلف)

١٠ — عاصفة فوق مصر (رواية) / مطبعة فتي النيل ١٩٣٩
١١ — إخفاق الفاشية / مطبعة لجنة التأليف ١٩٤٣
١٣ — الحياة في الاتحاد السوفيتي (مترجم عن الانجليزية)
تأليف موريس دب / مطبعة مصر ١٩٤٥
١٣ — موسكو برلين لندن — تاريخ سياسى لفترة ما قبل الحرب العالمية الثانية / مطبعة المقتطف ١٩٤٦
١٤ — نظرية التطور / مطبعة مصر ١٩٥٢
١٥ — المستدلون والمهانون (رواية مترجمة عن الألمانية في جزئين) تأليف دستوفسكى / وزارة الثقافة ١٩٦١
١٦ — الختان ضلالة إسرائيلية مؤذية (مترجم عن الإنجليزية) تأليف جوزيف لويس / دار مطابع الشعب ١٩٦٥
١٧ — محنة التوراة على أيدي اليهود / مطبعة الرسالة ١٩٦٥
١٨ — سيرة لينين (من سلسلة الفكر السياسى والاشتراكى) — / دار الكاتب العربى ١٩٦٨
١٩ — صلة القرآن باليهودية والمسيحية (مترجم عن الألمانية) تأليف فلهم رودلف / دار الطليعة - بيروت ١٩٧٤
٢٠ — موسى وفرعون بين الاسطورية والتاريخية / دار العالم الجديد ١٩٧٥
٢١ — الاشتراكية الحديثة
٢٢ — لماذا كانت الرأسمالية تغنى الحرب
٢٣ — قصة هنرى الصياد (من أجل فتاة في محكمة الجمعية السرية)
٢٤ — نوتة في الاصلاحات

هذا الكتاب

دراسة رائدة ترصد بالتحليل
النقدى مهد العنصرية : يهودية
التوراة .

فلم تكن اليهودية مجرد دين ينتمى
الى عصر انقضى ، بل كانت وما تزال
الاساس الفكرى لهدف واحد مشترك
يجمع بين عهد يهوه لموسى وعهد بلفور
وترومان لوايزمان وبن جوريون ،
يجمع بين العنصرية القديمة والصهيونية
الحديثة .

فقد استمرت اليهودية لا رغم
التاريخ ، ولكن بفضل التاريخ ..
تاريخ الرأسمالية الذى توجهه
باستعمار ليس له مثيل ، لفلسطين .

انها دراسة فى « كتاب الكتب » ،
« التوراة » ، و « شعب التوراة » ،
و « بلاد التوراة » ... دراسة فى جذور
السيطرة .

التم ٦٠ قرشاً
٦ ل ل

دار العالم الجديد - القاهرة